



شرعيو هيئة تحرير الشام

البنية - التحولات - الدور

الباحثان

عباس شريفة

وحسن الدغيم



المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة:	١٥
أهمية البحث:	١٦
إشكالية البحث وأسئلته:	١٧
فرضية البحث:	١٧
منهجية البحث:	١٨
حدود البحث:	١٨
أ) الحدود الزمانية	١٨
ب) الحدود المكانية:	١٨
الفصل الأول: نشأة «هيئة تحرير الشام» وتبلور مرجعيتها الشرعية	١٩
المبحث الأول: نشأة هيئة تحرير الشام	٢١
المطلب الأول: تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام	٢١
المطلب الثاني: التحول إلى «جبهة فتح الشام»	٢٣
المطلب الثالث: الإعلان عن تشكيل «هيئة تحرير الشام»	٢٣
المبحث الثاني: تبلور المرجعية الشرعية لهيئة تحرير الشام	٢٥
المطلب الأول: الانفصال عن «تنظيم القاعدة» وبروز دور «المرجعيات المحلية»	٢٥
المطلب الثاني: المؤسسات الشرعية المرجعية لتحرير الشام ودورها	٢٥

- أ) المجلس الشرعي لتحرير الشام: ٢٦
- ب) المجلس الأعلى للإفتاء: ٢٩
- الفصل الثاني: قراءة في أدوار أربع نماذج من «المرجعيات الشرعية» لهيئة تحرير الشام ٣١
- المبحث الأول: أبرز المرجعيات الشرعية المنضوية في صفوف تحرير الشام ٣٤
- المطلب الأول: عبد الرحيم عطون ٣٤
- أولاً: النشأة والتعليم ٣٤
- ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام ٣٥
- ثالثاً: مواقفه وأبرز ملامح هويته الفكرية ٣٦
- المطلب الثاني: مظهر الويس ٤٨
- أولاً: النشأة والتعليم ٤٨
- ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام ٤٩
- ثالثاً: أبرز مواقفه ولامح هويته الفكرية ٤٩
- المبحث الثاني: أبرز المرجعيات الشرعية التي استقالت من هيئة تحرير الشام ٥٧
- المطلب الأول: عبد الرزاق المهدي ٥٧
- أولاً: النشأة والتعليم ٥٧
- ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها ٥٨
- ثالثاً: أسباب استقالته / انشقاقه من تحرير الشام ٥٩
- رابعاً: منهجه ولامح هويته الفكرية ٦٠
- المطلب الثاني: عبد الله المحيسني ٦٣
- أولاً: النشأة والتعليم ٦٣
- ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها ٦٤

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاقه من تحرير الشام.....	٦٥
رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية	٦٦
الفصل الثالث: قراءة في صراع الأجنحة الشرعية دخل هيئة تحرير الشام وديناميات التحول وإعادة التشكل	٦٩
المبحث الأول صراع الأجنحة وسياقات تشكل المرجعية الشرعية	٧٢
أ- المرحلة الأولى: إدارة الصراع مع داعش	٧٢
ب- المرحلة الثانية: صعود التيار الأدرني وزيادة الارتباط بالقاعدة	٧٣
ج- المرحلة الثالثة: فك الارتباط بتنظيم القاعدة وظهور الجولاني للعلن	٧٦
د- المرحلة الرابعة: تأسيس تحرير الشام والتحول من الفصيل إلى السلطة	٧٧
المبحث الثاني أهم النتائج.....	٨١
الخلاصة.....	٨٨
هيكلية المرجعية الشرعية لتحرير الشام وأعضائها	٩٠



مقدمة

تلعب المرجعيات الشرعية في الجماعات الجهادية دورًا كبيرًا في رسم الخطاب والتعبئة والفتوى والقيادة السياسية، بل والعسكرية في بعض الأحيان، حيث إن الأساس الذي تقوم عليه هو «السعي لتطبيق وتحكيم الشريعة» كما نجد فيها تطبيقًا واضحًا لنموذج «القائد الشيخ»، إضافة لحرصها على ترسيخ مفهوم «طاعة الأمير» الذي يجعل من المرجعية الشرعية أو «الأمراء الشرعيين» ذات كلمة وازنة في تلك التنظيمات.

وقد بدأ ذلك واضحًا في تنظيم جبهة النصرة الذي تأسس نهايات العام ٢٠١١ وفي تحولاتها المختلفة، حيث كان للمرجعية الشرعية دور كبير في رسم سياسات التنظيم، داخليًا وخارجيًا، و«شرعنة» ممارساتها المختلفة.

وفي هذا الصدد كان لجبهة النصرة بتحولاتها المختلفة (فتح الشام، تحرير الشام)، نوعان رئيسان من المرجعية الشرعية، الأولى هي المرجعية العابرة المتمثلة بمرجعيات تنظيم القاعدة خارج سوريا، والثانية هي المرجعيات الشرعية المحلية، والتي برز دورها مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، ليرز أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس «المجلس الشرعي لتحرير الشام»، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو «مجلس الإفتاء الأعلى»، وعبد الرزاق المهدي الذي استقال من هيئة تحرير الشام وكان من أبرز الوجوه

الشرعية، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبي اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضاً، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعض تلك الشخصيات استقالتهم من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم، وهو ما أثار أسئلة عديدة حول أسباب استقالة/ انشقاق تلك الشخصيات، ومدى الصلابة الفكرية التي يتمتع بها التنظيم.

من جهة أخرى، وبعيدا عن «المرجعيات الفردية» التي شكلت المرجعية الشرعية لتحرير الشام وتحولاتها السابقة، فقد شكل «المجلس الشرعي لتحرير الشام» ككل، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعياً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة، وكذلك «شرعنة» السياسات التي تنتهجها تحرير الشام.

أهمية البحث:

نظرا للتأثير الكبير لهيئة تحرير الشام على مسار الثورة السورية ونفوذها الكبير في منطقة واسعة من الشمال الغربي لسوريا، وتأثير الجناح الشرعي فيها على سياساتها؛ كان لابد من الوقوف على بنية هذا الجناح، ودراسة تأثيره، وتأثير أبرز الشخصيات التي تشكل المرجعية الشرعية لتحرير الشام بشكل مباشر أو غير مباشر، بهدف التحذير من الخطاب المتطرف من جهة، وإبراز دور بعض الشخصيات المتطرفة في تصدير الخطاب التكفيري والإقصائي والصدامي، وكذلك البحث فيما لو كان هناك شخصيات أخرى ضمن الجناح الشرعي لتحرير الشام، أكثر توازنا واعتدالا ومن الممكن إطلاق حوارات فكرية وتقاربية معها.

إشكالية البحث وأسئلته:

تتمثل إشكالية البحث، في تحديد المرجعية الشرعية لهيئة تحرير الشام على الصعيد المؤسسي و«الفردى»، وعلى الصعيد المحلى والعابر للحدود الجغرافية والزمانية، والبحث في أدائها وأدوارها وتأثيرها، وتفكيك خطاباتها وتحديد الملامح المنهجية والفكرية لأبرز الشخصيات المؤثرة في تحرير الشام على الصعيد الشرعى.

ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة أهمها:

- ١ - ما هي المرجعية الشرعية المؤسسية لتحرير الشام؟
- ٢ - ما هو دور المجلس الشرعى لتحرير الشام والمجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة وما هو تأثيرهم على سياسات تحرير الشام؟
- ٣ - ما هو مدى تأثير مرجعيات تنظيم القاعدة على هيئة تحرير الشام؟ وما هي أبرز المرجعيات المؤثرة فيها بحال وجدت؟
- ٤ - ما هي أبرز اتجاهات المرجعيات الشرعية المحلية لتحرير الشام وما هي أدوارها وأهم مواقفها وما هي ملامح منهجها وهويتها الفكرية؟

فرضية البحث:

يشكل المجلس الشرعى لهيئة تحرير الشام والمعروف بـ «اللجنة الشرعية» المرجعية الشرعية المؤسسية العليا لتحرير الشام، في رسم سياساتها الداخلية والخارجية، أو «شرعتها»، في حين يقتصر دور «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» المرتبط بتحرير الشام على تقديم الفتاوى الفقهية، وتمييز المرجعيات

الشرعية - المحلية - عن بعضها البعض في كثير من المواقف والمسائل، ما قد يشكل مدخلا - محدودا - لاختراق التنظيم فكريا ضمن قضايا محددة.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على مناهج متعددة في دراسة الإشكالية السابقة، وأبرزها المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعمل الباحث على تحديد المرجعية الشرعية لتحريير الشام ووصفها ووصفا دقيقاً، حتى يتمكن من إعطاء التفسير والنتائج المناسبة عن إشكالية البحث.

حدود البحث:

أ - الحدود الزمانية:

تنحصر الحدود الزمانية للبحث بالفترة الممتدة من انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١ والتي تمثل نقطة تشكل المرجعية الشرعية لجبهة النصرة التي تحولت لاحقا إلى تحرير الشام وحتى منتصف العام ٢٠٢١ وهو لحظة إعداد الدراسة، إن تركيز البحث الأكبر ينحصر في الفترة الممتدة من بدايات العام ٢٠١٧ وهي لحظة الإعلان عن تشكل هيئة تحرير الشام، وحتى لحظة إعداد هذه الدراسة.

ب - الحدود المكانية:

يركز البحث على تأثير المرجعيات الشرعية ضمن الجغرافية السورية.

الفصل الأول
نشأة «هيئة تحرير الشام»
وتبلور مرجعيتها الشرعية

١ - نشأة هيئة تحرير الشام

٢ - تبلور المرجعية الشرعية

المبحث الأول

نشأة هيئة تحرير الشام

المطلب الأول: تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام

بدأت جبهة النصرة توجد على الأرض السوريّة بعد أشهر من انطلاق الأعمال المسلّحة للثورة السوريّة، في نهاية العام ٢٠١١م، من خلال بعض العمليّات العسكريّة على المراكز الأمنيّة، ومن ثمّ توسّعت عمليّاتها لا سيّما في دخول مدينة حلب وريف دير الزور، ومن ثمّ تحوّلت إلى قوّة رئيسيّة على مستوى الثورة السوريّة، ومرّت بمراحل قوّة وضعف، وتحالف وصراعات عديدة.

أسّس جبهة النصرة شخص يدعى أبا محمد الجولانيّ يقال إنّه من مواليد سوريّة، كان يدرس في مدينة دمشق، ثمّ التحق بتنظيم الدولة في العراق، وهناك تعرّف على أبي بكر البغداديّ زعيم تنظيم الدولة، الذي عينه قائداً لعمليّات التنظيم في محافظة نينوى / ١ /، وبعدها انطلقت الثورة السوريّة، دخل الجولانيّ إلى سوريّة، وعقد عدّة اجتماعات في ريف دمشق، وإدلب، وحلب، ودير الزور، والتقى عدّة شخصيّات من تنظيم القاعدة، وقام بتشكيل جبهة النصرة / ٢ / التي أعلن عنها في ٢٠١٢م، وبقيت جبهة النصرة وحتى انفصال دولة العراق والشام عنها، تسير ضمن الخطوط الثوريّة الوطنيّة بالمجمل، ولم تفرض نفسها وصياً، أو شرطياً على الأرض، وحظيت بحاضنة شعبيّة، دفعت العديد من أفراد الشعب السوريّ أن يطلق حملة تنديد بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، عندما قامت بتصنيف جبهة النصرة على قائمة المنظّمات الإرهابيّة، من حيث منظورها، لكنّ هذا لم يكن

مستغرقاً جميع القطاعات والأمكنة، والتي مارست فيها جبهة النصرة الكثير من السلوكيات المستفزة.

ثم بدأ العدّ العكسيّ بداية من انفصال تنظيم الدولة، واستيلائها على المنطقة الشرقية، وخروج النصرة منها، حتّى وصل الاصطدام بكتائب الجيش الحرّ، ووقوع حوادث مؤلمة.

وبدأت مع إعلان أبي محمد الجولاني في شريط مسرّب للإعلام عن نيّته في إقامة إمارة إسلاميّة على أرض الشام، وتطبيق الشريعة على حدّ وصفه، وعلى إثرها انسحبت جبهة النصرة من الهيئات الشرعيّة في حلب، وإدلب، مؤسّسةً لنفسها ما سمّته بدور القضاء بخاصّة في إدلب، وتميّزت هذه المرحلة بما يلي:

١ - ظهور الاختلافات بين أجنحة النصرة وتياراتها، من متشدّد ومعتدل ومحافظ.

٢ - السياسة الإقصائيّة، والوصائيّة لدى جبهة النصرة، وفرض نفسها كشرطيّ على غيرها من الفصائل الثوريّة، والحاضنة الشعبيّة، في المناطق المحرّرة.

٣ - الصدام الواسع مع عدّة كتائب ثوريّة، حيث قامت بتفكيكها، مثل جبهة ثوار سوريّة، وحركة حزم، وألوية الأنصار، واللواء السابع، وأخيراً وليس آخراً هجومها على مقرّات الفرقة ١٣ في معرّة النعمان وغيرها.

٤ - التفرد بالجانب القضائيّ من دون الفصائل الأخرى، ومحاولة الهيمنة على القرار العسكريّ، عن طريق استثمار تحالف جيش الفتح في إدلب، وغرفة عمليّات أنصار الشريعة في حلب.

٥ - خروج المظاهرات الراضية لوجود النصره وسياساتها القضائيه والامنيه، التي بلغت ذروتها في معرّة النعمان، حيث طردت منها جبهة النصره شعبيّاً بالتظاهر.

المطلب الثاني: التحول إلى «جبهة فتح الشام»

بعد ضغط داخل جبهة النصره، متزامناً مع ضغط شعبيّ عارم، لفك الارتباط بالقاعدة، خرج أبو محمد الجولاني وأبو الفرج المصري وعبد الرحيم عطون الشامي في بيان مصور في تموز/ يوليو من العام ٢٠١٦، أعلنوا فيه إلغاء العمل باسم جبهة النصره، وتشكيل جسم جديد باسم: فتح الشام، وأنه لا يتبع لأيّ تنظيم في الخارج، ورحّب بهذه الخطوة على المستوى الشعبيّ، والثوريّ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بسبب استمرار فتح الشام على نهج التغلّب واقصاء الفصائل الأخرى، ولا سيّما عمليّات السطو، وتفكيك الكتائب، التي لم يكن آخرها هجومها على بعض الكتائب داخل حلب المحاصرة، أدّت مع أسباب أخرى إلى سقوط مدينة حلب، وخروجها من الحسابات الثوريّة، وأدّى ذلك إلى مظاهرات شعبيّة داعية للاندماج بين الفصائل.

المطلب الثالث: الإعلان عن تشكيل «هيئة تحرير الشام»

بعد المظاهرات الشعبيّة الضاغطة على الفصائل لتنظيم صفوفها، وإنهاء حال التمزق، عقدت عدّة اجتماعات لبحث الاندماجات الفصائليّة، ولكنها لم ترقّ للمستوى المطلوب من المسؤوليّة، ممّا أدّى لاستقطاب حادّ في الساحة، بين حركة أحرار الشام وفصائل الجيش الحرّ من جهة، وبين فتح الشام، ومعها بعض الفصائل من جهة أخرى، وتخلّلها قيام: فتح الشام بتفكيك وضرب بعض الكتائب

الثوريّة، مثل جيش المجاهدين في حلب، وصقور الشام في إدلب، ثمّ قامت فتح الشام على إثر ذلك بإعلان تشكيل هيئة تحرير الشام في كانون الثاني/ يناير من العام ٢٠١٧، وضمتّ لواء الحقّ في إدلب، وحركة نور الدين الزنكي في ريف حلب، وبعض الفصائل الأخرى، ولكنها استمرت في سياسات التغوّل، والتغلّب على شركاء الثورة، حتّى تاريخ كتابة هذه السطور^(١).

(١) للمزيد حول تحولات تحرير الشام، ينظر: المقال التحليلي «الجولاني، من رحم «داعش» إلى «قائد ثوري شعبي»؟»، مركز الحوار السوري، على الرابط:

<https://shorturl.at/efpHS>

هارون ي زيلين، من الجهاد العالمي إلى النظام المحلي: «هيئة تحرير الشام» تبني أشكالاً مختلفة من الشرعية، معهد واشنطن، على الرابط:

<https://shorturl.at/fgq79>

المبحث الثاني

تبلور المرجعية الشرعية لهيئة تحرير الشام

المطلب الأول:

الانفصال عن «تنظيم القاعدة» وبروز دور «المرجعيات المحلية»

مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجلات مع منطري وقيادات تنظيم القاعدة، وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي، الذي استقال من هيئة تحرير الشام، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضاً، وعبد الله المحسيني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم، وفي الفصل الثاني سيتناول الباحث أربع مرجعيات محلية بالدراسة ويسعى لتفكيك خطاباتهم وتحليل مواقفهم وتبينها لفهم دور وأثر تلك المرجعيات.

المطلب الثاني:

المؤسسات الشرعية المرجعية لتحرير الشام ودورها

شكل «المجلس الشرعي لتحرير الشام»، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعياً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة وشرعة السياسات التي تتخذها تحرير الشام.

أ- المجلس الشرعي لتحرير الشام:

ويُعرف «المجلس الشرعي لتحرير الشام» باسم «اللجنة الشرعية»

- ١- يُعدُّ عبد الرحيم عطون - الذي ستتناوله الورقة بشكل مفصل في المبحث الثاني والمعروف بأبي عبد الله الشامي - رئيس المجلس / اللجنة، التي تضم أيضاً
- ٢- مظهر الويس .
- ٣- ومصطفى حمدان المعروف بأبي الحارث الزبداني .
- ٤- وكذلك ميسر علي موسى عبد الله الجبوري المعروف بأبي ماري القحطاني .
- ٥- أبو الحارث المصري

جدول بأسماء المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام

الرقم	الاسم	الجنسية	الاتجاه	قبل تأسيس الهيئة
١	عبد الرحيم عطون	سوري	سلفي جهادي	جبهة النصرة
٢	أبو ماري القحطاني	عراقي	سلفي جهادي متحول	جبهة النصرة
٣	مصطفى حمدان	سوري	سلفي	مستقل
٤	مظهر الويس	سوري	سلفي جهادي	جبهة النصرة م
٥	أبو الحارث المصري	مصري	سلفي جهادي	مستقل
المنشقون عن المجلس				
٦	عبد الرزاق المهدي	سوري	سلفي	مستقل
٧	محمد أبو الصادق	سوري	سلفي جهادي	أحرار الشام
٨	عمر رمضان	سوري	تقليدي	نور الدين الزنكي
٩	عبد الله المحيسني	سعودي	سلفي	مستقل

وذلك وفق المعلومات التي حصل عليها الباحث من شرعيين سابقين في التنظيم، وبحسب المقابلات التي أجراها الباحث؛ فإن المجلس الشرعي أو اللجنة الشرعية كان لها دور كبير في رسم سياسات التنظيم قبل الإعلان عن تشكيل تحرير الشام في التحشيد للفكرة وفي الأشهر الأولى من تشكيلها، حيث كانت تستشار في معظم سياسات التنظيم سواء الخارجية أو الداخلية المتعلقة بتعاملها مع الفصائل الأخرى، وبدا ذلك واضحاً من خلال مقطع الإعلان عن انفصال جبهة النصرة عن تنظيم القاعدة وإعلان تشكيل جبهة فتح الشام، والذي ظهر فيه عطفون رئيس المجلس / اللجنة الشرعية على يمين الجولاني، إلا أن دور المجلس / اللجنة قد تراجع بشكل واضح مع تشكيل حكومة الإنقاذ المرتبطة بتحرير الشام في بداية تشرين الثاني / نوفمبر من العام ٢٠١٧ وسط سعي تحرير الشام للتحويل من بنية التنظيم / الجماعة، إلى بناء المؤسسات الحكومية التي تتمتع بقدر من الاستقلالية - ولو الشكلية - عن تحرير الشام، ولا تحتاج بالضرورة الرجوع للمجلس / اللجنة الشرعية في جميع سياساتها، وهو ما بدا واضحاً من خلال تشكيل المجلس الأعلى للإفتاء الذي تستعرضه الورقة في الفقرة التالية.

وفي هذا السياق من الممكن تقسيم مراحل تأثير المرجعية الشرعية على القيادة العسكرية في تحرير الشام وتحولاتها السابقة إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: هي مرحلة سطوة المرجعية الشرعية على القرار السياسي والعسكري في التنظيم، وهي الفترة الممتدة منذ تشكيل جبهة النصرة حتى الانشقاق عن تنظيم الدولة وما رافقها من سجلات شرعية ودور كبير للمرجعية الشرعية وهنا كان الشرعي العام لتحرير الشام العراقي ميسر الجبوي «أبو ماري

القحطاني وكانت النصره تعتمد في إدارتها على اللامركزية حيث يتمتع أمراء القواطع بصلاحيات واسعة.

المرحلة الثانية: مرحلة التوازن بين القيادتين الشرعية والعسكرية، والتي جاءت مع تعيين الأردني سامي العريدي شرعياً عاماً بضغط من المقدسي على قيادة النصره والتي اتسمت بالتأسيس لمرحلة قتال الفصائل والالتصاق بفكر تنظيم القاعدة.

المرحلة الثالثة: وهي سطوة القيادة العسكرية على الجهاز الشرعي بشكل شبه كامل، مع إقصاء/ انشقاق قيادات وشرعيي القاعدة عن التنظيم وذلك في الفترة الممتدة من تشكيل جبهة فتح الشام إلى ما بعد تشكيل هيئة تحرير الشام والاعتماد على شخصية سورية محلية هو عبد الرحيم عطون الذي ساعد الجولاني بقيادة تحولات مهمة جداً أهمها فك الارتباط بتنظيم القاعدة.

المرحلة الرابعة: مع تشكيل تحرير الشام اعتمد التنظيم على مجلس عسكري بدلاً من الشرعي العام وتحول دور المجلس الشرعي في هيئة تحرير الشام إلى دور ثانوي مقتصر على تبرير السياسات العامة التي ترسمها قيادة تحرير الشام متمثلة بأبي محمد الجولاني قائد التنظيم، ولتتحول المرجعية الشرعية فيها إلى «مرجعية سورية» مهمتها الرئيسة «شرعنة» ممارسات الجناح العسكري، والتحركات السياسية التي تنتهجها تحرير الشام، وتبريرها شرعياً، مع الإشارة هنا لتنامي الخلافات والصدامات الداخلية التي تبدي هشاشة المرجعية الشرعية لتحرير الشام وعجزها عن تحقيق تأثير حقيقي في سياسات التنظيم، وهو ما سيظهر لاحقاً - بشكل واضح - من خلال جملة من الشواهد التي يستعرضها.

ب - المجلس الأعلى للإفتاء:

في محاولة لإظهار استقلال حكومة الإنقاذ والمؤسسات المدنية العاملة في المنطقة، تمت الدعوة إلى «مؤتمر عام للثورة السورية» والذي عقد في شهر نيسان/إبريل من العام ٢٠١٩ في قاعة المؤتمرات بمعبر باب الهوى، ليحضر المؤتمر مجموعة من التكتلات العسكرية والسياسية والشرعية والعلمية المقربة من تحرير الشام، ويعلن البيان الختامي للمؤتمر عن ضرورة تشكيل مرجعية شرعية للمناطق المحررة بحيث تكون الشريعة الإسلامية مصدره الوحيد، إضافة لدعوته لتشكيل مجلس عسكري موحد^(١)، ليعقب ذلك الإعلان عن قائمة أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء في الداخل السوري المحرر، والتي ضمت^(٢):

جدول أسماء أعضاء مجلس الإفتاء في حكومة الإنقاذ

الرقم	الاسم	الاتجاه الفكري	التبعية الفصائلية	المحافظة
١	أنس عيروط	تقليدي	مستقل	طرطوس
٢	بسام صهيوني	تقليدي	مستقل	طرطوس
٣	إبراهيم شاشو	سلفي	مستقل	حلب
٤	مظهر الويس	سلفي جهادي	تحرير الشام	دير الزور
٥	عبد الرحيم عطون	سلفي جهادي	تحرير الشام	إدلب
٦	مؤيد سحاري	سلفي جهادي	تحرير الشام	إدلب
٧	مصطفى حمدان	سلفي	مستقل	ريف دمشق

(١) ينظر: المؤتمر العام للثورة السورية وتطلعات الشعب السوري، وكالة إباء، على الرابط:
<https://ebaa.news/news/2019/02/30324/>

(٢) ينظر: الإعلان عن أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء في الداخل السوري، وكالة إباء، على الرابط:
<https://ebaa.news/news/news-details/2019/04/38171/>

ولفهم دور «المجلس الأعلى للإفتاء» يمكننا الوقوف على ثلاث ملاحظات أساسيتين:

الملاحظة الأولى: وجود ٣ أعضاء مشتركين بين المجلس الشرعي لتحرير الشام، والمجلس الأعلى للإفتاء وهم عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، ومصطفى حمدان، إضافة لكون الشخصيات الأخرى مقربة من تحرير الشام، وهو ما ينفي مزاعم استقلالية المجلس، ويؤكد كونه إحدى الواجهات الشرعية لتحرير الشام.

الملاحظة الثانية: أن عمل المجلس متركز على إصدار الفتاوى الفقهية، المتعلقة بالأمور الحياتية، ومسائل المعاملات وغيرها، ولا شأن له بالفتاوى السياسية، المتعلقة بسياسات تحرير الشام، والتي تعد من اختصاص المجلس / اللجنة الشرعية لتحرير الشام.^(١)

الملاحظة الثالثة: وهي أن ثلاثة من المجلس الشرعي يتسبون للسلفية الجهادية، واثان منهم سلفي علمي واثان من المدرسة التقليدية واقتصر أعضاء المجلس على العنصر السوري المحلي واستبعاد كل الأجنبي منه بعكس المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام.

(١) بحسب تتبع العديد من الفتاوى التي أصدرها المجلس (حول وباء كورونا - التجارة الإلكترونية - مقدار زكاة الفطر...).

الفصل الثاني
قراءة في أدوار أربع نماذج
من «المرجعيات الشرعية» لهيئة تحرير الشام

مرجعيات لازالت داخل هيئة تحرير الشام

١ - عبد الرحيم عطون

٢ - مظهر الويس

مرجعيات مستقبيلة من هيئة تحرير الشام

٣ - عبد الرزاق المهدي

٤ - عبد الله المحيسني

لعبت المرجعيات الشرعية المحلية في هيئة تحرير الشام دورا بارزا في الاسهام بتشكيل سياسات تحرير الشام على المستوى الداخلي والخارجي، وعلى وجه الخصوص في إقناع العناصر لتنفيذ السياسات التي ترسمها القيادة على المستوى المحلي، أو إقناعهم بما يتم انتهاجه على المستوى الخارجي. وفي هذا الصدد من الممكن تقسيم المرجعيات الشرعية لهيئة تحرير الشام إلى مرجعيات «عابرة» للحدود الزمانية أو المكانية، لعبت دورها خارج الجغرافية السورية ولم تنتم تنظيميا لتحرير الشام، إلا أنه كان لخطاباتها ورسائلها وفتاويها الأثر الكبير على منهج وسياسة تحرير الشام، وهي المرجعيات التي تمت الإشارة لها في الفصل السابق، ومرجعيات محلية لعبت دورها ضمن الجغرافيا السورية، وكانت ضمن صفوف تحرير الشام، والتي سيناقشها البحث في هذا الفصل.

المبحث الأول

أبرز المرجعيات الشرعية المنضوية في صفوف تحرير الشام

المطلب الأول: عبد الرحيم عطون

أولاً: النشأة والتعليم

ليس من السهل الوصول إلى معلومات تفصيلية عن نشأة قيادات التنظيمات الجهادية، التي غالباً ما يلفها الغموض والجهالة، بما فيهم عبد الرحيم عطون الذي كان يعرف بـ «أبي عبد الله الشامي»، إلا أن تلك التنظيمات قد تتقصد أحياناً إبراز بعض قياداتها وتقديمهم لوسائل الإعلام وللرأي العام المحلي أو الدولي لأسباب مختلفة، ليكون عبد الرحيم من بين تلك القيادات التي قدمتها جبهة النصرة للرأي العام، حيث كان الظهور الأول لعطون في الإصدار المسجل الذي بثته «جبهة النصرة» سابقاً، للتعريف ببعض قياداتها بعنوان «ورثة المجد»، وذلك في آذار/ مارس من العام ٢٠١٦، ليعقب ذلك ظهوره في مقطع الإعلان عن تشكيل جبهة فتح الشام على يمين أبي محمد الجولاني، ويغدو من أهم الشخصيات في هيئة تحرير الشام لاحقاً، والمعروفة بطبيعة الحال للسكان المحليين في منطقة تمرکز التنظيم شمال غربي سوري.

ومن المعلومات المؤكدة حول عطون؛ أنه من مواليد قرية «طعوم» التي تتبع ناحية «بنش» الواقعة على بعد عدة كيلومترات شمال شرقي مركز محافظة إدلب، وهو الأخ الشقيق لـ «محمد خير عطون» الملقب بـ «أبي الخير طعوم»

أحد أبرز مؤسسي حركة «أحرار الشام» والذي كان من الشخصيات البارزة في الشمال الغربي لسوريا قبل أن يقتل في العام ٢٠١٤، مع الإشارة إلى أن والد عبد الرحيم عطون أيضا من الشخصيات المعروفة في المنطقة، وهو أحد «المشايخ» المعروفين فيها، ويدعى بـ «محمد عطون» وكانت قد انتشرت له تسجيلات صوتية يدين فيها سياسة تحرير الشام في الغلو والتكفير وسياستها العسكرية في عزوفها عن الدفاع عن المناطق المحررة، إضافة لإنكاره لما تصدره من أحكام تكفير تجاه الفصائل الأخرى، وبدا واضحا في تسجيلاته خلاف الكبير بينه وبين ابنه عبد الرحيم عطون^(١).

ولا يوجد مصادر - سواء ميدانية أو إعلامية - تشير لتلقي عطون تعليما أكاديميا في أي من المجالات سواء التطبيقية أو الإنسانية بما فيها العلوم الشرعية، في حين أشارت بعض المصادر لتلقيه دروسا دينية في بدايات التزامه لدى أتباع الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني» الذي يعد أبرز مرجعيات المدرسة السلفية العلمية الحديثة في سوريا.

ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام

يعد عبد الرحيم عطون من أبرز شرعيي هيئة تحرير الشام في الوقت الراهن، فهو رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، الذي يعد أعلى جهة شرعية في هيئة تحرير الشام، وكان عطون قد ظهر على يمين أبي محمد الجولاني في المقطع المصور الذي أعلن فيه فك الارتباط بتنظيم القاعدة وتشكيل تنظيم جديد تحت مسمى «فتح الشام»

(١) رابط لإحدى الصوتيات التي تأكدت نسبتها لوالد عبد الرحيم عطون:

<https://t.me/c/1030028241/6726>

في العام ٢٠١٧^(١) حيث كان عطون عضواً في مجلس الشورى في «جبهة النصر» وأبرز الشرعيين في اللجنة الشرعية حينها، ليصبح لاحقاً «الشرعي العام» أو رئيس «المجلس الشرعي» لتحرير الشام، والمرجع الشرعي الأول فيها، وتصدر عنه العديد من المواقف والبيانات التي سنستعرضها في الفقرة التالية.

ثالثاً: مواقفه وأبرز ملامح هويته الفكرية

سنستعرض تحت هذا العنوان أهم مواقف عبد الرحيم عطون التي يمكننا من خلالها استنتاج أبرز ملامح هويته الفكرية.

* أبرز مواقفه:

يمكن اختصار أهم مواقف عطون بالنقاط التالية:

١ - موقفه من تنظيم داعش:

اتخذ عبد الرحيم عطون موقفاً صدامياً من تنظيم داعش منذ تأسيسه، حيث انتقد عطون في كتابه «في ظلال دوحه الجهاد» تنظيم داعش انتقاداً حاداً، وتحدث تحت عنوان «تأسيس جبهة النصر وأحداث الشام (من بداية الخلاف وحتى إعلان الدولة)» عن بداية الخلافات بين جبهة النصر وأشار عطون لجلوسه مع البغدادي، لحل تلك الخلافات قائلاً: «جلسنا إلى البغدادي جلسة طويلة دامت لثلاثة أيام من ١٠ إلى ١٣ / ٣ / ٢٠١٣ تم خلالها إعادة تشكيل مجلس الشورى وهيكلته من جديد

(١) ينظر: جبهة النصر تفك ارتباطها بالقاعدة وفصائل ترحب، الجزيرة، على الرابط:

كما تم حلحلة بعض المشاكل بحسب ما بدا لنا...»^(١) إلا أنه يستدرك أن المشاكل استمرت بأخذ البيعات من قبل قيادات تنظيم الدولة للبغدادي بدل الجولاني، ما أدى لإرسال رسالة شكوى من الجولاني إلى زعيم تنظيم القاعدة «أيمن الظواهري» مضيافاً «حين علم البغدادي والأنباري أننا أرسلنا رسالة الشكوى للشيخ الظواهري حفظه الله، خططوا لقطع الطريق على الجبهة» ناقلاً قول البغدادي «إن جاء رد الشيخ الظواهري للجبهة، فسأقبل رؤوس أهل الشام وأحمل شواتي أي - أمتعتي - وأرجع إلى العراق» مستدركاً أنه لما جاء الرد «تنكر لكل ذلك وصنع بأهل الشام من القبائح والجرائم ما يحتاج الحديث عنه لمجلدات».

ومما ذكره عطون في سياق ما أسماه الجرائم والقبائح «الأخذ بفتوى الظفر: باعتبار كل ما بيد الجبهة غنيمة للدولة، فمن ظفر بها بأي شكل من الغصب والسلب والنهب فله ذلك، إضافة إلى الأخذ بفتوى قتل المصلحة: التي أصلها لهم الأنباري دون فهم منه لأقوال أهل العلم ومناطاتها الصحيحة فراح يستشهد بقول العلماء الذين قالوا: «من لا يندفع شره إلا بالقتل يقتل» وينزلها على من خالفه من الفصائل، وعلى رأسها جبهة النصر، كما قاموا بإطلاق العنان للغلاة... حيث فشا فيهم منهج الخوارج وغلب عليهم، وصار سمة عامة هم اصطبعوا به، حتى غدوا اليوم طائفة من طوائف الخوارج المعاصرين...»^(٢)

ليقوم عطون بتمثيل جبهة النصر بعد دعوة الناطق باسم تنظيم داعش حينها

(١) عبد الرحيم عطون: مصدر سابق.

(٢) عبد الرحيم عطون: مصدر سابق.

«أبو محمد العدناني» إلى مباهلة بين التنظيمين^(١) عرف بالمباهلة التي وقعت بينه كمثل للنصرة وبين أبو محمد العدناني من داعش.

٢ - موقفه من تنظيم القاعدة وفك ارتباط جبهة النصره بها:

لا شك أن ظهور عطون على يمين الجولاني في مقطع الفيديو الذي أعلن خلاله الجولاني فك ارتباطه بتنظيم القاعدة يؤكد دعم عطون لتلك الخطوة، ويؤكد أيضا الرواية القائلة أن عطون كان أحد المحركين والدافعين الرئيسيين لفك الارتباط، وهو ما ترسخ لاحقا في رده على الظواهري الذي اتهم عبر كلمة له نشرت في نهاية تشرين الثاني / نوفمبر من العام ٢٠١٧ بعنوان «فلنقاتلهم بنيانا مرصوصا»؛ «هيئة تحرير الشام» وأميرها أبو محمد الجولاني، بـ«نكث العهد»، مشيرا أن ما فعله بعد فك الارتباط بـ«القاعدة» في العام ٢٠١٦، وتأسيس «جبهة فتح الشام» هو «إنشاء كيان جديد فقط زاد من الخلافات»^(٢)، ليأتي رد عطون على كلمة الظواهري، أن خطوة فتح الشام مهدت الجو لجولات اندماج جديدة بين الفصائل، وأن الجبهة لم تنقض البيعة ولا العهد، وسارت بشكل شرعي وتنظيمي،

(١) للاطلاع على دعوة العدناني للمباهلة ينظر: تنظيم الدولة بعد مباهلة العدناني، قناة موقع على بصيرة على اليوتيوب، على الرابط

https://www.youtube.com/watch?v=vhw2jLWf3_A

مع الإشارة هنا أنه لا توجد مقاطع للمباهلة إذ عادة ما يقوم اليوتيوب بحذف المقاطع التي تنتهك سياسة النشر الخاصة به.

(٢) ينظر: الظواهري يهاجم الجولاني: لم نقبل بفك الارتباط، جريدة المدن، على الرابط:

<https://shorturl.at/qvQX2>

وأنهم لا يتحملون ما حصل من إشكالات أهم أسبابها إشكالات تنظيمية في بنية التنظيم، وتأخر حسم القرارات بسبب انقطاع التواصل، ووجود أشخاص تشاغب وتشوش على أي قرار يتم أخذه وتشكك فيه وتطعن.

يضاف لذلك - بحسب عطون - موضوع تأخر وصول الرسائل وإجاباتها من أهم أسباب المشاكل، ولا يصلح في ساحة متسارعة الأحداث كساحة الشام أن يكون القرار معلقاً برسالة تحتاج شهوراً لتصل ويحتاج جوابها لشهور أخرى كذلك، ما لم يفوض قادة الساحة بما يرونه في صالح الجهاد وأهله.

أما ما تطرق له الظواهري في كلمته عن اعتقال النساء والمهاجرات والأطفال بين «عطون» أن من حقهم اعتقال من يسعى جاهداً بالليل والنهار لشق الصف باسم القاعدة وبيث الشبه، ويطعن في الدين والمنهج، خصوصاً بعد أن تكررت منهم الطلبات للكف عن ممارسة هذا النوع من الطعن.^(١)

ليعقب ذلك أيضاً رسالة أخرى للظواهري في العام ٢٠١٩ هاجم خلالها بعنف «تحرير الشام»، واعتبرها «مجموعة عاقبة»، واتهمها بالتنافس على السلطة والنفوذ والمعابر والسيطرة على القرى والبلدات بدل قتال النظام، وفرض المكوس والضرائب على الناس، والتهجم والتحريض على المجاهدين، والجلوس مع القتلة، والإذعان للاتفاقات المذلة، وحماية الجيش التركي العلماني، مشيراً إلى

(١) ينظر: كيف ردت هيئة تحرير الشام بلسان الشرعي العام «عبد الرحمن عطون» على كلمة الظواهري ...؟!، شبكة شام، على الرابط:

أن «تحرير الشام» تمهد لنفسها للدخول في لعبة الديموقراطية العفنة، ليعقب ذلك أيضاً رد آخر لعطون قال خلاله: «ليعلم الجميع وأولهم جماعة سابقاً، أن سلاح الهيئة خط أحمر، ولا نقبل المساس به من أي أحد، كائناً من كان، ومن يقترب من سلاحنا تحت أية حجة وتأول سيعامل كصائل على مال الجهاد، وكل من تسول له نفسه أخذ قطعة من هذا السلاح تحت أي دعوى سيلاحق ويحاسب ويقاضى». (١)

٣- موقفه من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى:

لعب عبد الرحيم عطون دوراً بارزاً في شرعنة قتال فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى في الشمال الغربي لسوريا، وغالباً ما كان يتولى إصدار البيانات المؤيدة لتلك الاقتتالات، أو الرد على المنكرين لسياسة تحرير الشام في هذا الصدد، ويشرح د. حذيفة عزام خلال شهادته المعنونة لله ثم للتاريخ، دور عطون في هجوم تحرير الشام على فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخيرة وأبرزها جبهة ثوار سوريا وتحرير الشام حينها، وكيف رفض استقبال د. حذيفة الذي كان يقوم على مساع الصلح آنذاك، ويتحدث عن مراوغته خلال المحاكم التي يصفها عزام بـ «الهزلية»، كما يشير عزام إلى أن عبد الرحيم عطون «قالها صراحة بأن ميثاق الشرف الثوري الذي أصدرته أحرار الشام «ميثاق كفري»، مشيراً إلى أن المدعو أبو فراس السوري، الذي أصدر مقالاً بعنوان «الذير العريان بكفر الأحرار» كان قد عرض المقال على عطون ولاقى استحسانه وإعجاباً،

(١) ينظر: اشتباك الجهاديين يضع «النصرة» في مرتبة داعش، جريدة المدن، على الرابط:

بحسب ما صرح السوري نفسه عندما لاقى بعض الانتقادات حول المقال^(١).

كما تشير بعض المصادر الداخلية من هيئة تحرير الشام أن عطون كان من أبرز مؤيدي قتال أحرار الشام وتفكيكهم، خلال المواجهات التي اندلعت منتصف العام ٢٠١٧، وأدت لانتهيار كبير في صفوفها^(٢).

من جهة أخرى فقد أصدر عطون بياناً حول قتال تحرير الشام لحركة نور الدين الزنكي التي كانت جزءاً من تحرير الشام، بدايات العام ٢٠١٨، أشار خلاله إلى أن تحرير الشام تقاتل «الزنكي» بأحكام «قتال طائفة البغي»، وقد عممت هذا الحكم على كل القطاعات، مشيراً أن «كل من ينقل عنا غير هذا فهو مفتر علينا ما لم نقله». وأكد أن «الفتوى الملزمة لهم في هذا الباب هي فتوى مجلس الفتوى في الهيئة باعتبار الزنكي طائفة صيال وبغي ممتنعة تطبق في حقها أحكام قتال طائفة البغاة»^(٣)، في حين ينقل د. أيمن هاروش شهادة يقول فيه إنه سمع تصريح «عبد الرحيم عطون» يقول برودة «جمال معروف» و«حزم»^(٤)، وأن قتالهم لم يكن قتال بغي وصيال وإنما «قتال ردة».

(١) د. حذيفة عبد الله عزام، لله ثم للتاريخ .. شهادة حذيفة عزام على حوادث جبهة النصرة، موقع على بصيرة، على الرابط:

<https://alabasirah.com/node/494>

(٢) ينظر: تياران منقسمان داخل «تحرير الشام» .. نقاتل أم لا، عنب بلدي، على الرابط:
<https://www.enabbaladi.net/archives/162389#ixzz6yDR4eIUu>

(٣) ينظر: «تحرير الشام» تؤكد إصرارها على قتال «الزنكي» في إدلب، عنب بلدي، على الرابط:
<https://www.enabbaladi.net/archives/208433#ixzz6yDSeW7hg>

(٤) حقيقة جبهة النصرة أو هيئة تحرير الشام، موقع على بصيرة،
<https://alabasirah.com/node/684>

أما بالنسبة للفصائل الإسلامية التي كانت قريبة من تنظيم جبهة النصرة بتحولاته المختلفة لم يختلف موقف عطون عن موقفه من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية المعتدلة، ففي منتصف عام ٢٠٢٠ اندلعت اشتباكات عنيفة بين هيئة تحرير الشام، وغرفة عمليات «فائتوا» التي تضم ٥ فصائل إسلامية أبرزها تنظيم حراس الدين^(١) الذي يعد بمثابة الفرع الجديد لتنظيم القاعدة بعد فك جبهة النصرة ارتباطها بالقاعدة، وذلك على خلفية اعتقال هيئة تحرير الشام أحد أبرز قيادتها المدعو «أبو مالك التلي» تصدر عطون للرد على تنظيم حراس الدين وغرفة عمليات فائتوا، وعلى زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري الذي أصدر كلمة ينكر خلالها ممارسة تحرير الشام ويقف فيها إلى جانب حراس الدين، وجاء في بيان مشترك بين عطون ومظهر الويس، أن القيادة العامة لتنظيم «القاعدة» قامت بتبني رواية فرعه في سوريا، أي تنظيم «حراس الدين»، خلال الاشتباكات الأخيرة بين الطرفين في محافظة إدلب، مشيراً أنه «يجب على الحراس أن يلتزموا بما اتفق عليه دون تملص وتغطية من القيادة العامة، لكنهم خالفوا عدة مرات بنود الاتفاق عبر الخطف والاحتطاب» بحسب عطون، الذي نفى دعوة تحرير الشام يوماً أنها «جماعة المسلمين» التي لها حقوق «الإمامة»، مستدركا أنه «لا يحق لأي جماعة أن تخل بالنظام القائم منذ أعوام ولا يحق للقيادة العامة في تنظيم القاعدة ولا غيرها أن تملص من تعهدات «الحراس» أو الإخلال بالنظام العام»، مؤكداً أن «حراس الدين» «هم من بدؤوا بالاعتداء، عبر قطع الطرق ونشر الحواجز وتفتيش السيارات والتضييق بتفتيش الهواتف الشخصية،

(١) «فائتوا» تشكيل غرفة عمليات جديدة في إدلب، بلدي، على الرابط:

والأولى بالقيادة العامة لتنظيم القاعدة تطير الحراس والأخذ على أيديهم، منوهاً أن شأن «أبو صلاح الأوزبكي» و«أبو مالك التلي» اللذين اعتقلتهم تحرير الشام هو شأن داخلي ولا علاقة للحراس ولا لغيرهم به^(١). والواضح من خلال ذلك أن عطون كان يمثل المفتي الشرعي الذي يشرعن قتال تلك الفصائل، ويتولى تبرير قتال تحرير الشام لها والرد على كل من ينكر ذلك.

٤ - موقفه من المرجعيات الشرعية المحلية للثورة السورية:

أصدر عطون في بداية العام ٢٠١٨ بياناً هاجم فيه المجلس الإسلامي السوري الذي يعد أبرز مرجعية شرعية محلية للثورة السورية، وقال عطون في البيان الذي حصل الباحث على نسخة منه «صمتنا أكثر من مرة على بياناتكم أملاً في التروي الذي كنا ننتظره منكم في القادمت كما أكد لنا بعض المقربين منكم» مستدركا: «لكنكم في بيانكم الأخير بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ١٤٣٩ هـ الموافق لـ ١٣ كانون الثاني ٢٠١٨ م عدتم لسابق عهدكم من إطلاق الأحكام الخاطئة والاتهامات الباطلة المبنية على تصورات مغلوطة» متهما المجلس ببعده عن التأصيل العلمي المنضبط والانفعال والتحيز بقوله «إذا كان البعض يطلق أحياناً مثل تلك الأحكام على سبيل السباب والانفعال لا على سبيل التأصيل العلمي المنضبط فغير مقبول منكم بوصفكم مشايخ أن تقعوا في ذلك، وقد أضحي واضحاً أن مجلسكم يتبع سياسة الكيل بمكيالين».

(١) ينظر: لا شأن لأحد بـ«الأوزبكي» و«التلي».. قياديو «تحرير الشام» يردون على تنظيم «القاعدة»،
عنب بلدي، على الرابط:

٥ - موقفه من المرجعيات الشرعية لتنظيم القاعدة

في ظل الصدمات التي حصلت بين تحرير الشام وحراس الدين، نشر الشيخ عاصم البرقاوي المعروف بأبي محمد المقدسي، والذي يعد أحد أهم مرجعيات تنظيم القاعدة، منشوراً ينتقد فيه تحرير الشام وجهازها الأمني على وجه التحديد، وتعامله مع جهاز الاستخبارات التركي، وممارسته للظلم في المنطقة مفتياً بحرمة الانضمام له بالقول إنه «لا يجوز لمسلم والحال كذلك أن يعمل في هذا الجهاز الخبيث (الجهاز الأمني للهيئة)، الذي يعمل سناً وعوناً وذنباً لاستخبارات دولة علمانية عضو في حلف الناتو»، مردفاً «مَنْ أعان الاستخبارات التركية على المسلمين، فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعروفة، وهو (مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين)».

ليأتي الرد من قبل المجلس الشرعي الذي يرأسه عطون بأن «أبا محمد المقدسي» من الشخصيات التي كان لها «أثر سيئ» في سوريا، معلناً تبرؤً تحرير الشام منه وفق البيان الذي جاء فيه «نحن منه ومن منهجه براء، فليس منا ولسنا منه ولا على طريقته، ونفرّق بين منهجه البدعي في التوحيد، وبين منهج التوحيد الذي تلقيناه عن أهل العلم سلفاً وخلفاً وإننا نبرأ إلى الله من منهج البرقاوي وسلوكه».

كما استعرض البيان ملاحظات تحرير الشام على منهج «المقدسي» والتي تمثلت - وفق ما جاء في البيان (إطلاقاته عبارات «التكفير والعمالة والخيانة»، انحيازه الظاهر لـ «جماعة الخوارج» (في إشارة إلى تنظيم «الدولة»)، إثارة للفتن في «الساحات الجهادية» سواء في أفغانستان أو العراق، الفجور في الخصومة وعدم

مراعاة فقه الخلاف ولا أدبه)، فيما لا يمكن تحديد موقف عطون من بقية مرجعيات «جماعات الغلو المسلحة»، إلا أن الواضح من خلال رده الذي استعرضته الورقة سابقاً على الظواهري ورده على أبي محمد المقدسي، أن عطون يرى نفسه بمرتبة تؤهله لنسف تلك المرجعيات وانتقادها بل وإسقاطها عند الضرورة.

٦ - موقفه من الدول الفاعلة في الملف السوري:

على الرغم من الاتهامات السابقة لفصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية بالردة لاعتبارات تتعلق بعلاقتها الدولية، وتكفيرها تحت يافطة «موالاة الكفار» والتعامل معهم، بدا واضحاً محاولة تحرير الشام إعادة تقديم نفسها للمجتمع الدولي كفصيل معتدل، وذلك من خلال عدة تصريحات ومقابلات مع صحف أجنبية، كان آخرها مقابلة أبو محمد الجولاني مع الصحفي الأمريكي مارتن سميث، والتي بعث خلالها رسائل تطمينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بأن الفصيل الذي يقوده لا يشكل تهديداً على تلك الدول، وأن وجوده يحقق مصالحها^(١)، بدا واضحاً أن عطون هو أحد ركائز تلك المقاربة الجديدة وأحد عرابيها ومقدمي التبريرات الشرعية، فقد ظهر اسمه هو الآخر في تصريحات أدلى بها لصحيفة «لو تيمبس» السويسرية أشار خلالها أن هيئة تحرير الشام «لا تشكّل خطراً على الغرب»، وأن المنطقة التي تسيطر عليها تحرير الشام بحاجة للمساعدات الدولية.

(١) «الجولاني» يبعث رسائل تطمين للولايات المتحدة وأوروبا ويتحدث عن مصالح «مشتركة»

معها، نداء بوست، على الرابط:

<https://t.ly/PYB1->

وأضاف عطون «لست بصدد أن أقدم صورة أجمل أو أكثر سوداوية عن أنفسنا، نحن نظهر الواقع فحسب، الناس هنا ليسوا مثلما كان عليه الناس في الرقة في فترة خلافة تنظيم الدولة».

مشيرا أن تحرير الشام هي «آخر من يقاتل نظام الأسد وحلفاءه لكنها لن تتمكن من القضاء عليه دون مساعدة»^(١).

* أبرز ملامح هويته الفكرية:

يمكن اختصار ملامح الهوية الفكرية لعطون بالنقاط التالية:

١ - الغلو في التكفير غير المنضبط للأعيان والجماعات؛ حيث بدا ذلك واضحا من خلال تأييده للمقال المعنون بـ «النذير العريان الذي وصف الأحرار برسل المرتدين» لكتابه أبو فراس السوري وكذلك وصفه ميثاق «الشرف الثوري» بـ «الميثاق الكفري» وتصريحه بردة «جمال معروف» و«حزم».

٢ - الاستهانة بالدماء المعصومة، والذي بدا واضحا من خلال دعواته لقتال الفصائل الأخرى، سواء جبهة ثوار سوريا وحركة أحرار الشام وحركة نور الدين زنكي وغيرها من الفصائل، والتي خلفت مئات القتلى، ولعبت كلماته وفتاواه دورا كبيرا فيها تحريضا وتبريرا.

٣ - تبني سياسة التغلب، وهو مرتبط بطبيعة الحال بفتاواه بقتال

(١) شرعي تحرير الشام لصحيفة سويسرية: لا تشكل خطراً ونحتاج لدعم دولي، تلفزيون سوريا، على الرابط:

الجماعات والفصائل الأخرى وفق ذرائع مختلفة، وتصريحاته الاستعلانية تجاه الفصائل الأخرى، والتي مهدت الطريق أمام تحرير الشام للتغلب على الفصائل الأخرى وتفكيكها، أو إخراجها من المنطقة، والسيطرة شبه الكلية على الشمال الغربي لسوريا.

٤ - البراغماتية، والتي ظهرت واضحة خلال التقلبات التي مر بها عطون، من الانقلاب على تنظيم الدولة ثم تنظيم القاعدة، ثم الانقلاب على نفسه وطروحاته القديمة، المتعلقة بالممارسات السياسية والعلاقات الدولية للفصائل، والتي كفر بسببها أحرار الشام وغيرها، قبل أن يتبنى خطابا أكثر استغراقا في التودد للمجتمع الدولي، من خلال تقديم التبريرات للعلاقات مع تركيا، ومحاولة تحسين صورة تحرير الشام أمام الصحافة الغربية.

٥ - السطحية، إذ يبدو واضحا أن عطون لم يحظَ بتعلم شرعي كاف سواء على المستوى الأكاديمي، أو «المشيخي»، وقد بدا ذلك واضحا في خطابه وبياناته، التي افتقدت للتأصيل العلمي، وكانت في معظمها ردودا على المنتقدين والخصوم بعبارات منمقة واستعارات لغوية، وسرد للوقائع وفق روايته، سواء في ردوده على الظواهري أو على المجلس الإسلامي السوري أو على منتقدي قتال تحرير الشام، دون الخوض بتفاصيل المسائل الشرعية، وهو ما أكد على الضحالة العلمية لعطون وتركز دوره في تقديم التبريرات لممارسات تحرير الشام.

المطلب الثاني: مظهر الويس

أولاً: النشأة والتعليم

مظهر الويس من مواليد مدينة العشارة ١٩٨٠م التابعة لمنطقة الميادين جنوب شرقي محافظة دير الزور، نشأ في عائلة ملتزمة وأتمَّ الدراسة الثانوية فيها ليلتحق بكلية الطب البشري في جامعة دمشق، لاحقاً سجل الويس في معهد الفتح الاسلامي قسم الفقه المقارن، وتخرج من كلية الطب والتحق باختصاص الداخلية في دمشق، وألف كتاباً بعنوان «دراسات فقهية في طب النسائية»، عرف بتأثره بكتابات الشيخ محمد قطب وسيد قطب، وعمل على نشرها مع الشيخ عمار التلاوي في كليتي الطب والشريعة.

تمَّ اعتقاله من جانب مشفى المواساة، وتعرض للتعذيب في فرع فلسطين ٢٣٥، ثم تم تحويله إلى سجن صيدنايا في آذار/ مارس من العام ٢٠٠٨، ليشهد الاستعصاءات الثلاثة التي جرت في السجن ومن ثم حُكِمَ ثماني سنوات في محكمة أمن الدولة.

وتمَّ نقله في العام ٢٠١١ إلى سجن دير الزور المدني^(١)، قبل أن يتم الإفراج عنه في العام ٢٠١٣^(٢).

(١) ينظر: رابطة العلماء السوريين، المعتقل الشيخ الدكتور مظهر الويس أبو عبد الرحمن، على الرابط:

https://islamsyria.com/site/show_cvs/378

(٢) «هيئة تحرير الشام» تكشف اللثام عن أبرز شرعيها في سوريا (فيديو)، عن بلدي، على الرابط:

<https://www.enabbaladi.net/archives/138685#ixzz6yEFqQhvp>

ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام

انضم الويس فور الإفراج عنه إلى جبهة النصرة، ليصبح شرعياً بارزا فيها، ويعمل في قطاع الجنوب، في محافظة درعا قبل أن ينتقل مع مجموعة من القيادات البارزة في نهاية عام ٢٠١٥ إلى إدلب، في عملية لفها الغموض، إذ إن المناطق الواصلة بين المحافظتين كانت جميعها خاضعة لسيطرة نظام الأسد آنذاك، ليصبح الويس بعد ذلك أحد المقربين من زعيم تنظيم جبهة النصرة أبو محمد الجولاني، وينشط في المنطقة الشرقية وفي محافظة دير الزور قبل سقوطها ويتم تعيينه رئيساً للهيئة الشرعية فيها وعضو «مجلس شورى المجاهدين»، ويغدو أحد أبرز الشرعيين والممثلين لجبهة النصرة بتحولاتها المختلفة، في اللقاءات ومجالس القضاء وفي الخلافات التي نشبت بينها وبين الفصائل الأخرى، قبل أن يصبح أحد أعضاء المجلس الشرعي عقب الإعلان تشكيل تحرير الشام، وأحد أبرز المنظرين والمدافعين عن تحولاتها وممارساتها، ويتم تعيينه في العام ٢٠١٧ رئيساً لمجلس القضاء التابع لهيئة تحرير الشام، وفي العام ٢٠١٩ تم الإعلان عن المجلس الأعلى للإفتاء في منطقة إدلب، والتابع لحكومة الإنقاذ المرتبطة بهيئة تحرير الشام ليضم المجلس في صفوفه مظهر الويس إلى جانب عطون وأعضاء آخرين^(١).

ثالثاً: أبرز مواقفه وملامح هويته الفكرية

يستعرض الباحث تحت هذا العنوان أهم مواقف مظهر الويس التي يمكن من خلالها استنتاج أبرز ملامح هويته الفكرية.

(١) الإعلان عن المجلس الأعلى للإفتاء في الداخل السوري، وكالة إباء، على الرابط:

https://ebaa.news/news/news_details/2019/04/38171/

* أبرز مواقفه:

١ - موقفه من تنظيم داعش:

في العام ٢٠١٤ نشر مظهر الويس بحثا مطولا من ٢٦٠ صفحة تحت عنوان «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» هاجم فيه منهج وممارسات تنظيم داعش، وانتقدها نقدا لاذعا، وأشار إلى أن تنظيم داعش قد «فاقت مظالمه كل الحدود، فقتلهم بالآلاف، ومشردوهم بمئات الآلاف، فانتهكوا الحرمات واغتصبوا الأموال، تحت ما يسمى بـ«جباية الفيء وتوزيع العطايا»، ونهبت أموال الأمة واغتصبت خيراتها، وفرضوا الضرائب، وكفروا الناس طمعا بأموالهم وجردوا القرى والمناطق التي كانوا يسيطرون عليها» وأنهم «بالإضافة إلى انتهاكهم للحرمات فلم يقيموا الحدود على وجهها، وإنما غروا الناس ببعض العقوبات التي يطبقونها، والتي يسلم منها أتباعهم إلا من تمرد عليهم، فيتخلصوا منه بحجة إقامة الحدود». وأشار إلى مغالاة التنظيم في تطبيق قاعدة «من لم يكفر الكافر»، وأنه أنصاره يعتبرونها أصلا مطردا مطلقا دون التفصيل المعروف، فتنتقل عندهم سلسلة التكفير للمخالف دون هوادة، فهم يكفرون بلا مكفر، ومن لا يستحق التكفير، ويستحلون قتل من لا يستحق القتل وغير ذلك من المسائل التي أثارها البحث، الذي حذر من خطر الغلو والخوارج، موضحا أن «الأصل الجامع للخوارج الحرورية هو الغلو في التكفير، والذي يتجلى بالتكفير بلا مكفر، وبالتالي تكفير المخالف لهم ومن هنا تبدأ سلسلة التكفير وصولا إلى الخروج على المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم». كما أشار الويس أن تنظيم داعش شابه «الخوارج الأوائل بالغلو في الإمامة فقالوا بالدار والإمام والهجرة واعتبروا زعيمهم هو أمير

المؤمنين الذي تجب بيعته على المسلمين» منوها أن هذا ديدن كل فرق الخوارج عبر التاريخ، كما أشار إلى أن الخوارج عبر التاريخ تميزوا «بالولع في سفك الدماء، وهذا ما تجلّى واضحا في جماعة الدولة التي اشتهرت بعملياتها الانتحارية وطرقها الاستعراضية في القتل، وأفلامها الهوليدوية في الصلب والتمثيل، وقالوا بقتل المخالف لهم من باب قتل المصلحة». كما نقل الويس إجماع المسلمين على قتال الخوارج، مشيرا إلى أن «الأمة أجمعت على وجوب قتال الخوارج إذا خرجوا على الناس، بل هو مرغّب فيه في الشرع؛ لأنه ذب عن السنة ولم يأت الأمر بقتل طائفة قتل عاد إلا في الخوارج» مؤكدا أنه «من أوجب الواجبات اليوم في أرض الشام التصدي لهذه الجماعة المارقة»^(١).

٢ - موقفه من تنظيم القاعدة وفك الارتباط معها:

كان الويس من التيار المؤيد لفك ارتباط جبهة النصرة عن تنظيم القاعدة، وظهر واضحا انتقاداته لقيادة القاعدة، حيث سبق وأشار الورقة للبيان المشترك الذي أصدره الويس مع عطون والذي اتهما فيه القيادة العامة لتنظيم «القاعدة» بتبني رواية فرعه في سوريا، خلال إحدى جولات الاشتباك بين الطرفين، كما علق على إحدى كلمات الظواهري، بأن سلاح تحرير الشام «خط أحمر»، وهدد بقطع

(١) جميع روابط تحميل الكتاب المنشورة معطلة ويمتن الرجوع إلى بعض المقالات التي تناولت الكتاب: خلاصة كتاب العلامات الفارقة في دين المارقة، على الرابط:

<https://justpaste.it/molakhas>

بالصور وثيقة كتبها قيادات القاعدة لفضح اتباع داعش، موقع ٢٤ الخبر بين لحظة وضحاها، على الرابط:

<https://24.ae/article/419658/>

اليد التي ستمتد إلى سلاحها، ونشر على حسابه الرسمي على تطبيق تلغرام أن «من يتحدث عن حل الهيئة فعليه أن يحل الأوهام والوساوس في عقله المريض، وقرار الهيئة بيد أبنائها الصادقين، مضيفاً أن «هيئة تحرير الشام هي رأس الحربة في الساحة، وهي مع الصادقين من المجاهدين شوكة أهل السنة، لذلك لا يتوقف المغرضون عن الإشاعات التي تأتي في إطار الحرب النفسية، والغاية نزع إرادة القتال من المجاهدين وإضعاف معنوياتهم». وأعرب في نهاية كلامه أن الهيئة جاهزة للتعاون والتنسيق «بل حتى اندماج يحافظ على ثوابت الساحة، ويكون فيه قرار المجاهدين مستقلاً وليس إملاءات من هنا وهناك»^(١).

٣- موقفه من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى:

لا يبدو أن الويس كان يتبنى موقفاً تكفيرياً تجاه فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى، كما أن الويس مر بحالات جفاء مع قيادة جبهة النصرة بتحولاتها، ولم يكن يثق الثقة التامة بالجولاني وفق ما يذكره القيادي السابق في جبهة النصرة «صالح الحموي» المعروف بـ «أس الصراع في الشام»، والذي يوجه رسالة معاتبة في إحدى منشوراته على قناته في تلغرام نشرها في آذار/ مارس من العام ٢٠١٨^(٢) يشير فيها إلى أن الويس لم يكن على وفاق دائم مع الجولاني، وأنه أخبره أن الجولاني يريد من الشرعيين أن يكونوا مثل مفتي نظام الأسد «أحمد

(١) ينظر: لكي لا تتكرر سيناريوهات حلب ودير الزور والغوطة: «جبهة النصرة» ومصير إدلب،

القدس العربي، على الرابط:

<https://shorturl.at/rtAU8>

(٢) قناة صالح الحموي على تلغرام، على الرابط:

<https://t.me/asseraaalsham1/427>

حسون»، وأنه بمجرد أن تنتقد الجولاني «يحقد عليك ويهمشك ويقصيك»، وأن أحد قيادات أحرار الشام استشارهما في مسألة الاندماج مع تحرير الشام تحت قيادة الجولاني، فكان الويس من المعارضين لذلك بحسب الحموي، بحجة غلوه ورعونته واحتمالية إقصائه للأحرار ومصادرة أسلحتهم، كما أكد الحموي أن الويس فكر بالاستقالة أكثر من مرة من تحرير الشام وشاوره بذلك، وهو ما يشير أن الويس لم يكن من المحرضين على قتال الفصائل الأخرى والتغلب عليها، ولم يكن يرى تكفيرهم إذ بدا واضحا معارضته لمنهج التكفير في بحثه «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» والذي تمت الإشارة له، كما لم يتم تسجيل أي من المقاطع التحريضية له، إلا أنه كان يرى في تلك الفصائل فصائل «ثورة مضادة» بحسب الحموي، مع الإشارة هنا أن الويس كان غالبا ما يتولى النيابة عن طرف تحرير الشام في لجان حل الخلاف، مثل تمثيله لتحرير الشام في الاتفاق الموقع مع أحرار الشام عقب الاقتتال الذي جرى في آذار/ مارس عام ٢٠١٧^(١)، إلا أنه على الرغم من إظهاره خطاب التهدئة بشكل عام، فإن خطابا آخر غير معلن يؤيد ممارسات تحرير الشام وهجومها على الفصائل الأخرى تحت ذرائع وحجج أخرى، كان يتبناه الويس بحسب مصادر متعددة، بل كان الوجه غير المعلن لإعداد الفتاوى الخاصة بتلك الممارسات، وبدا ذلك مؤخرا عندما علّق على الاقتتال الذي دار منتصف العام ٢٠٢٠ بين تحرير الشام من جهة وبين فصائل في غرفة

(١) ينظر: اتفاق هشّ بين «الهيئة» و«الأحرار» لوقف الاقتتال، عنب بلدي، على الرابط:

عمليات «فائبتوا»، ووصفه بأنه شأن داخلي للهيئة، وزعم الويس أن ماجرى من عمليات الاعتقال التي طالت مسؤولين في الهيئة عقب استقالتهم شأن داخلي للهيئة وليس اقتتال داخلي، ولا سعي لاستئصال أحد، حسب وصفه.

وبحسب رواية «الويس»، فإنّ فصائل غرفة عمليات «فائبتوا» رفضت كل المساعي بالتهدئة والانسحاب وهذا ما اعتبره الشرعي بغي واعتداء وعدوان يستدعي دفعه بالسبل الشرعية حسب تعبيره.^(١)

٤ - موقفه من المرجعيات الشرعية المحلية للثورة السورية:

لم يتم تسجيل أي موقف للويس من المرجعيات الشرعية المحلية أو انتقادات لها كما هو حال عطون، الذي انتقد المجلس الإسلامي السوري انتقادات لاذعة، في حين تم رصد إحدى الانتقادات المنفردة التي وجهها الويس للدكتور عبد الكريم بكار، متهما إياه بالتخذيل والإرجاف، وأن «أنفه في سبيل الله ولم يدخل للدخل السوري حفاظا على امتيازاته المالية والدبلوماسية في الخارج»، متهما إياه بإصدار فتاوى تشرعن المصالحات وتسلم الأراضي^(٢).

٥ - موقفه من مرجعيات «جماعات الغلو المسلحة»:

لم يختلف موقفه كثيرا عن موقف عطون، حيث يعد الويس عضوا في المجلس الشرعي الذي أصدر البيان الذي تمت الإشارة إليه حول المقدسي والذي يصفه بأنه

(١) مظهر الويس: ما يحدث في إدلب ليس اقتتال بل شأن داخلي للهيئة...!!، شبكة شام، على الرابط:

<https://shorturl.at/InJW8>

(٢) التغريدة غير متاحة، حيث تم حذف القناة التي نشرت خلالها.

من الشخصيات التي كان لها «أثر سيئ» في سوريا، والذي تبرأ من منهج المقدسي واتهمه بالغلو والتكفير، مع الإشارة إلى أن الويس يبدو أنه كان على علاقة جيدة مع أبو قتادة الفلسطيني ورموز من التيار الجهادي المصري مثل هاني السباعي وطارق عبد الحلیم الذين قدموا له بحثه «العلامات الفارقة» وأثنوا عليه.

* منهجه وملامح هويته الفكرية:

١ - من الممكن اعتبار أن مظهر الويس أكثر انضباطاً في مسائل التكفير من المرجعيات الشرعية الأخرى لتحرير الشام، وبدا ذلك واضحاً في كتابه «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» وكذلك في رسالته التي حملت عنوان «تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)» والتي نشرت في العام ٢٠١٤^(١)، كما يعد الويس من تيار الصقور في مواجهة داعش.

٢ - من الممكن اعتبار الويس، أكثر تأصيلاً من الناحية الشرعية مقارنة بالمرجعيات الأخرى وعلى رأسهم عبد الرحيم عطون، إذ تلقى الويس تعليماً شرعياً أكاديمياً في معهد الفتح الإسلامي بدمشق، كما إن منشورات الويس يظهر فيها نوع من التأصيل والتعمق والمنهجية كما هو حال بحثه «العلامات الفارقة».

(١) تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)، موقع نور سوريا، على الرابط:

٣ - الخطاب المزدوج، إذ لم يظهر الويس خطابات علنيا يفتي خلالها بقتال الفصائل الأخرى، والتحريض عليها، في حين أشارت مصادر متقاطعة لدوره الكبير في تأسيس الأرضية الشرعية لتلك الممارسات، وتقديمه الفتاوى اللازمة لها، كما بدا ذلك واضحا من خلال ما ذكره القيادي المنشق عن جبهة النصرة صالح الحموي من أن الويس كان من المنتقدين بشدة للجولاني قبل أن يتحول لأبرز المرقعين له بحسب الحموي، وهو ما يؤكد ازدواجية الويس وخطابه الشرعي.

المبحث الثاني

أبرز المرجعيات الشرعية التي استقالت من هيئة تحرير الشام

مع التحولات التي مرت بها جبهة النصرة والممارسات المختلفة لها، كان هناك بعض المرجعيات الشرعية المهمة فيها آثرت ترك التنظيم، مع بقائها قريبة منه، وعدم قطعها حبال العلاقة معه وفيما يلي تستعرض الورقة شخصيتين من أبرز الشخصيات التي استقالت من هيئة تحرير الشام، وتناقش أبرز ملامح هويتهم الفكرية والأسباب التي دفعتهم للانشقاق/الاستقالة عن التنظيم، ودوره الراهن وتأثيرهم بعد استقالتهم.

المطلب الأول: عبد الرزاق المهدي

أولاً: النشأة والتعليم

عبد الرزاق المهدي من مواليد دمشق ١٩٦١، شرع بدراسة العلوم الإسلامية في عام ١٩٧٧ في معهد الفتح الإسلامي بدمشق، ودرس على يد العديد من الشيوخ من أشهرهم عبد الرزاق الحلبي مفتي الحنفية بدمشق.

اهتم المهدي بعلوم الحديث وشرع في تخريج الأحاديث، تمييز الصحيح من الضعيف، ودرس كتب الحديث وعلم المصطلح وحضر دروس الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وبدأ العمل في تحقيق المخطوطات بعد تخرجه من معهد الفتح، وعيّن إماماً وخطيباً لعدة مساجد في دمشق وريفها، وتم إيقافه أكثر من مرة عن الخطابة لأسباب أمنية، وقام المهدي بتحقيق العديد من

الكتب منها تفسير ابن كثير والقرطبي والبغوي والشوكاني، ومنها فتح القدير والعمدة في شرح العدة والرحلة في طلب الحديث وغيرها، كما قام باختصار بعض الكتب مثل موطأ مالك^(١).

ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصره وتحولاتها

لم يظهر أي نشاط للمهدي في بداية الثورة إذ كان مقيماً في تونس وناشطاً في مجال التدريس والخطابة والدعوة هناك، كما تظهر العديد من مقاطع الفيديو من مساجد ومعاهد مختلفة في تونس، على قنواته في يوتيوب حتى العام ٢٠١٤^(٢)، حيث انتقل بعدها إلى سوريا وبدأ نشاطه هناك، في مجال الدروس الشرعية والفتاوى القضاء، ومع تأسيس جيش الفتح^(٣) في مارس/ آذار من العام ٢٠١٥ عمل المهدي قاضياً لفصائل جيش الفتح، وعرف باعتباره قاضياً مستقلاً ومقرباً من جبهة النصره، حيث وافقت جبهة النصره، و«الفرقة ١٣» إحدى فصائل الجيش الحر في العام ٢٠١٦، على التحاكم لثلاثة قضايا مستقلين، لحل الخلافات التي

(١) ينظر: موجز تعريف بالشيخ عبد الرزاق المهدي، موقع من إدلب (وهو موقع يهتم بنشر نتاج الشيوخ التابعين أو المقربين من تحرير الشام)، على الرابط:

<https://shorturl.at/cdKS9>

(٢) ينظر: قناة الشيخ المحدث عبد الرزاق المهدي في اليوتيوب على الرابط:

https://www.youtube.com/channel/UCxx2cOaRgYp3mYhy6i_v96A

(٣) جيش الفتح هو اتحاد فصائل عسكرية في الثورة السورية، تشكل في بدايات العام ٢٠١٥ وضم عدد من الفصائل حينها أبرزها جبهة النصره وأحرار الشام وصقور والشام وغيرها، وكانت أولى عمليات تحرير مدينة إدلب.

وقعت بينهما، وكان المهدي أحد هؤلاء القضاة^(١)، وهكذا يبدو أن المهدي قدم إلى سوريا متأخراً، ولم يعلن انضمامه أو مبايعته لجبهة النصرة أو فتح الشام، وإنما بقي مستقلاً ومقرباً منها، ليعلن المهدي بعد ذلك انضمامه لهيئة تحرير الشام ومبايعتها منذ تشكيلها في كانون الثاني/يناير من العام ٢٠١٧، وذلك عبر بيان رسمي، مع عدد من المشايخ الآخرين، نشر في نفس يوم الإعلان عن تحرير الشام وبحسب البيان الذي أصدره حينها فإن هذه الخطوة أتت «رغبة في توحيد الصفوف واستجابة لوجوب جمع الكلمة وحرصاً على حقن الدماء»، على أن يكون انضمامهم صمام أمان ضد أي اقتتال داخلي، داعين جميع الفصائل في الثورة «لتبدأ مرحلة جديدة تطوى فيها صفحة الخلافات»، حسب البيان الصادر عنهم^(٢).

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاقه من تحرير الشام

لم يمض على إعلان المهدي انضمامه لتحرير الشام ثلاثة أشهر حتى أعلن استقالته منها، وذلك في بداية آذار/مارس من العام ٢٠١٧، معللاً ذلك بتزايد تجاوزات عناصر تحرير الشام، وأن الكثير من المظلومين يطالبونه برد حقوقهم، ويحملونه المسؤولية، مضيفاً «بما أنني غير قادر على رفع الظلم وإعادة الحق لصاحبه، رأيت لزاماً أن أعلن عن خروجي من هيئة تحرير الشام»^(٣)، وكان

(١) «النصرة» و«الفرقة ١٣» توافقان على التحاكم في محكمة شرعية، عربي ٢١، على الرابط:
<https://shorturl.at/ghnBN>

(٢) ينظر: هيئة تحرير الشام تشكيلها وقياداتها وسلسلة الانضمامات، شبكة شام، على الرابط:
<https://shorturl.at/fuwRZ>

(٣) ينظر: سياسيون وعسكريون ينشقون عن «هيئة تحرير الشام»، عنب بلدي، على الرابط:
<https://www.enabbaladi.net/archives/135471>

ذلك على خلفية الاقتتال بين تحرير الشام وأحرار الشام، إلا أنه على الرغم من ذلك بقيت علاقة المهدي بتحرير الشام علاقة قوية، واستمر بإلقاء الدروس في مناطق سيطرتها والمشاركة في مجالس الفتوى الخاصة بها بحسب ما يذكر، إضافة للقاءاته المستمرة مع الجولاني، حيث أشار المهدي في معرض رده على المسؤول الشرعي في تحرير الشام «يحيى بن طاهر الفرغلي» بقضية حكم فتح المعابر مع نظام الأسد نهايات عام ٢٠٢٠، حيث قال المهدي إنه دُعي إلى جلسة لمناقشة فتح المعبر، وكان القائد العام لتحرير الشام، أبو محمد الجولاني، حاضراً، مشيراً لاعتراضه على الأمر إلا أنه وجد إجماعاً من قبل الحاضرين فطلب تأجيل فتح المعابر على الأقل، مضيفاً في معرض رده على الفرغلي الذي اتهمه بالتناقض «ما وافقت ولا تناقضت ولا نافقت، ولست مضطراً لذلك والحمد لله، وإذا يراني بعضهم أصبحت ثقيلاً فيمكنني الرحيل، والعناية بالحديث النبوي الذي هو خير من الفصائل كلها»^(١).

رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية

يمكن اختصار أبرز ملامح منهج المهدي وهويته الفكرية بالنقاط التالية:

* تأصيله؛ يعد المهدي - فيما يبدو - من المرجعيات الشرعية المحلية الأكثر تأصيلاً لتحرير الشام، إذ تلقى المهدي تعليماً أكاديمياً شرعياً، وتعلماً مشيخياً، على العديد من الشيوخ الكبار في دمشق في مجالات الحديث والفقه وغيرها...

(١) سجال بين شرعيين مقرين من «تحرير الشام» حول فتح معابر في إدلب، عنب بلدي، على الرابط:

كما بدا واضحا اهتمامه في مجال الحديث تحقيقا وتخريجا و صدر له العديد من تخريجات الكتب الحديثية وتفسير القرآن.

* ترده في الانتماء لأي فصيل، بل وترده في الانخراط بالثورة في بداياتها حيث فضل مغادرة سورية، ليعود إليها لاحقا بعد نحو ٣ سنوات، دون أن يقوم مبايعة جبهة النصرة أو جبهة فتح الشام، ليقوم لاحقا بمبايعة تحرير الشام لأقل من ٣ أشهر ثم إعلان استقالته منها، مع تفضيله لتحرير الشام على بقية الفصائل رغم الانتقادات التي وجهها له وتفضيله البقاء قريبا من قياداتها وعناصرها ليعده البعض الوجه الشرعي غير الرسمي لتحرير الشام.

* لا يبدو أن المهدي من مؤيدي سياسة التغلب واستئصال الفصائل التي تنتهجها تحرير الشام، حيث ارتبطت استقالته من تحرير الشام بأول اقتتال لها مع أحرار الشام، وكذلك ربط انضمامه لها في البيان الذي تمت الإشارة إليه بالرغبة في توحيد الصف وحقن الدماء، وأن يكون - مع مشايخ - آخرين صمام أمان أمام أي اقتتال داخلي، ولم يتم رصد أي مقطع أو تغريدة يدعو المهدي فيها لقتال الفصائل، إلا أنه لم يكن ينكر على تحرير الشام إنكارا مباشرا، وكان كثير ما يردد في تغريداته «اللهم نسألك حقن دماء المجاهدين» ما جعل الكثيرين يتهمون بالترقيع وبانتهاج سياسة مزدوجة تأييد ضمنيا ما تقوم به تحرير الشام وتنتهج الحياد في العلن.

* على الرغم اقتراب المهدي من فكر «جماعات الغلو المسلحة»، فإنه منضبط في مسائل التكفير وكتب الكثير في انتقاد مرجعيات القاعدة وأهمها أبو محمد المقدسي، حيث رأى أن جملة العلماء يحملون قوله تعالى «ومن لم يحكم

بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» على المستحل لذلك، مشيراً أنه لم يخالف بذلك إلا عدد قليل عرفوا بشيوخ الجهاد منهم: الشيخ المقدسي وبعض أقرانه، وأنهم لا يقارنون بأهل العلم من أصحاب الدراية في علم التفسير أو الفقه وأصوله أو الحديث واللغة والبلاغة وغيرها^(١) وشن انتقادات لاذعة للمقدسي ومنهجه في سلسلة من المقالات والتغريدات اتهمه بالجهل وحذر من كتابته، في حين امتدح أبا قتادة الفلسطيني وميله نحو المنهج الوسطي، كما أن المهدي امتدح الداعية السعودية عبد العزيز الطريفي في إجازته الوصول إلى الحكم عن طريق الانتخابات منكرًا على من يحكم برده، إلا أنه تشدد وتطرف في أمور أخرى منها الفتوى بعدم الانضمام للجيش الوطني بدعوى عدم وجود محاكم شرعية في مناطق سيطرته، وكذلك فتواه بجواز استهداف ما أسماه «قرى النصيرية» وتقصده قتل الأطفال والنساء فيها وغيرها من الفتاوى التي يمكن اعتبارها فتاوى مغالية وشاذة^(٢)، ويعد نتاج المهدي غزيراً ولا يمكن استعراض جميع مواقفه بهذا الصدد، مع الإشارة لوجود العديد من الفتاوى الشاذة وغير المنضبطة التي يضيق البحث عن ذكرها واستعراضها.

* بحسب بعض المصادر والتغريدات التي نشرها المهدي فإنه فكر أكثر من مرة بتشكيل فصيل جديد يعتمد على الغنائم في تمويله، ويضم فيه الشباب الذين تركوا العمل مع الفصائل الأخرى نتيجة الخلافات والافتتالات إلا أنه فشل في ذلك، ويشير في إحدى تغريداته أنه عقد اجتماعاً ضم نحو ١٥ شخصاً، وفي الاجتماع الثاني لم

(١) التغريدة موثقة لكنها غير محفوظة على وسائل التواصل نتيجة حذف حسابات المهدي وتغييرها بشكل متكرر.

(٢) التغريدة موثقة لكنها غير محفوظة على وسائل التواصل نتيجة حذف حسابات المهدي وتغييرها بشكل متكرر.

يحضر سوى شخص واحد منهم، وهو ما يظهر ضعف المهدي حركيا وميدانيا، بل وخطابيا كما هو ظاهر في فيديواته، مع الإشارة لأهمية الملكة الخطابية في تكوين الأتباع، وبناء عليه فإن المهدي لا يملك تأثيرا كبيرا على الطبقة البسيطة من المقاتلين، ويقتصر تأثيره على القيادات الشرعية، ومجالس الإفتاء وغيرها.

* ظهرت بعض الخلافات بين المهدي والمجلس الشرعي التابع لتحرير الشام، وعلى وجه الخصوص بينه وبين الفرغلي، ما جعله يصرح في سياق الرد، أنه بحال رآه البعض «ثقيلاً» فيمكنه «الرحيل، والعناية بالحديث النبوي الذي هو خير من الفصائل كلها» بحسب وصفه وهو يظهر حالة نفسية قد وصل لها المهدي، تدل على يأسه من الإصلاح والتغيير.

المطلب الثاني: عبد الله المحيسني

أولاً: النشأة والتعليم

عبد الله المحيسني من مواليد مدينة بريدة في منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية، وداعية سعودي ذاع صيته خلال مشاركته في القتال إلى جانب فصائل الثورة السورية، حصل على الماجستير في تخصص الفقه المقارن من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وحصل بعدها على الدكتوراه وكان عنوان رسالته «أحكام لاجئي الحرب في الفقه الإسلامي» خارج السعودية، وهو ابن القارئ ورجل الأعمال المشهور «محمد المحيسني»^(١).

(١) ينظر: استقال من النصرة وشكل تنظيمًا جديدًا.. تعرف على «المحيسني» أشهر جهاديين سوريا، العرب والعالم، على الرابط:

ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها

مع انطلاق الثورة السورية، شرع المحيسني في جمع التبرعات لصالح الفصائل الإسلامية وعلى رأسها «جبهة النصرة وأحرار الشام»، ومع تعرض نشاطاته للتضييق من قبل السلطات السعودية، قرر مغادرتها، إلى تركيا ومنها إلى سوريا التي دخلها نهايات العام ٢٠١٣، وبدأ نشاطه كموجه شرعي وقاض مستقل للفصائل العسكرية، وعرف بقربه من جبهة النصرة، دون أن ينضم رسمياً لها، وكان له دور بارز في تأسيس جيش الفتح بدايات عام ٢٠١٥ وتوفير الدعم له، وغرد أكثر من مرة أنه «مقاتل مستقل» كما أصيب في بعض المعارك، ما زاد من شعبيته وصيته داخل وخارج سوريا، مع الإشارة لقدراته الخطابية وخطبه الرنانة.

وعلى نهج مقارب لنهج عبد الرزاق المهدي عمل المحيسني قاضياً لفصائل جيش الفتح، ووافقت جبهة النصرة، و«الفرقة ١٣» إحدى فصائل الجيش الحر في العام ٢٠١٦، على التحاكم لثلاثة قضاة مستقلين، لحل الخلافات التي وقعت بينهما، وكان المحيسني أحد هؤلاء القضاة^(١)، وفي كانون الثاني/يناير من العام ٢٠١٧، أعلن المحيسني انضمامه ومبايعته لهيئة تحرير الشام في اليوم الأول من تشكيلها، وذلك عبر بيان رسمي، مع عدد من المشايخ الآخرين، نشر في نفس يوم الإعلان عن تحرير الشام وبحسب البيان الذي أصدره حينها - وأشارت له الورقة سابقاً - فإن هذه الخطوة أتت «رغبة في توحيد الصفوف واستجابة لوجوب جمع

(١) «النصرة» و«الفرقة ١٣» توافقان على التحاكم في محكمة شرعية، عربي ٢١، على الرابط:

<https://tinyurl.com/kvsphm7u>

الكلمة وحرصاً على حقن الدماء»، على أن يكون انضمامهم صمام أمان ضد أي اقتتال داخلي بحسب وصف البيان.

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاؤه من تحرير الشام

بعد مضي أقل من ٩ أشهر على تأسيس هيئة تحرير الشام أعلن المحيisني خروجه من التنظيم، عبر بيان له نشره في قناته على التيلغرام، وجاء فيه أن الاستقالة تمت بعد تجاوز اللجنة الشرعية في الاقتتال، بين «تحرير الشام» و«أحرار الشام»، موضحاً أنه سيبقى على تواصل مع كل «مجاهد في الساحة الشامية»، ومع أي فصيل.

وكان المحيisني قد أعلن قبل استقالته ضرورة تحقيق خطوات إصلاحية محددة شروطه للبقاء فيه والتي نصت على «إعادة الاعتبار لأهل العلم وحفظ مكانتهم، بأن يكونوا مرجعية حقيقية للقادة والجنود، وتفعيل ملف القضاء الداخلي وزيادة صلاحياته، وتشكيل لجنة بصلاحيات عالية تفوض في التصالح بين الهيئة والعامّة، وبين الهيئة والفصائل، وتنظر في ملفات السجناء دون استثناء، وفي المظالم المرفوعة ضد هيئة تحرير الشام»^(١).

وفي تسجيل صوتي للمحيisني، عقب استقالته، قال إن الاستقالة مرتبطة بالاقتتال الأخير مع «أحرار الشام» وطردها من كامل محافظة إدلب، وصولاً إلى

(١) ينظر: بعد التهديد باعتقاله.. المحيisني يعلن استقالته من هيئة «تحرير الشام»، أورينت نيوز، على الرابط:

التسريبات الأخيرة لقيادات في تحرير الشام والتي تحدثت عنه بشيء من السخرية، إضافةً إلى تجاوز «تحرير الشام» للجنة الشرعية في كافة الأمور، و«رفضها لكافة المطالب التي طرحتها في الأيام الماضية، خاصةً في ما يتعلق بقتال أحرار الشام» وأشار المحيستي إلى أنه كان من أشد رافضي الاقتتال الأخير، وأصدر بياناً في تحريمه مع مجموعة من «أهل العلم»، إلا أن الأمر لم يلق أي استجابة، بل تم تجاوزه. وقال إنه تقدم بإصلاحات كاملة في «الهيئة» من أوضاع السجناء، والمظالم، إلا أن «الإخوة» رفضوها، الأمر الذي جعل في الاستقالة ضرورة للمرحلة المقبلة^(١).

أضف لذلك الخلاف الكبير بين المحيستي والجولاني على الموقف من دخول القوات التركية إلى الشمال السوري ففي الوقت الذي كان الجولاني يرسل مندوبه السياسي لمفاوضة الأتراك على إدخال قواتها إلى المنطقة كان الجولاني قد جمع المجلس الشرعي في تحرير الشام للدفع بهم نحو تصدير فتوى لحض الجنود على قتال تركيا وهو ما رفضه المحيستي نهائياً وكان سبباً لبذرة الشقاق بينهما^(٢).

رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية

* كان المحيستي في بدايته من مؤيدي إقامة إمارة إسلامية في المنطقة وداعماً للجولاني في كلمته «دونكم الإمارة»، إلا أنه لاحقاً بدا بمظهر أكثر اعتدالاً وخصوصية مع تحرير الشام وقائدها الجولاني.

(١) المحيستي يوضح أسباب استقالته من «تحرير الشام»، عن بلدي، على الرابط:

<https://www.enabbaladi.net/archives/172594>

(٢) مصدر خاص للباحث.

* انتقد المحيبي الديمقراطي في إحدى كلماته مع المقاليتين في جيش
الفتح موجه الكلام لهم «إن كنتم تقاتلون من أجل الديمقراطية والعلمانية فخبتم
وخسرتم»، وفي ذات الكلمة وصف فيه الائتلاف الوطني لقوى المعارضة بـ
«الائتلاف الوثني» الذي ينفذ أجندة الغرب، مؤكداً خلال كلمته ضرورة محاربة
أي مشروع لا يسعى لـ «إقامة خلافة على منهاج النبوة»^(١)، إلا أنه لم يصرح بالتكفير
المباشر للائتلاف ولفصائل الجيش الوطني، كما أنه كان من المنتقدين لتنظيم
داعش ومنهجه وإغراقه بالتكفير.

* من الواضح أن المحيبي لا يتمتع بالتأصيل الشرعي العميق على الرغم من
نيله درجة الدكتوراه أو أنه عن قصد لا يريد الدخول في التأصيل خوفاً من انكشاف
منهجه وتعرضه للتصنيف والاسقاط من جميع الأطراف مكتفياً ببث خطبه الدعوية
والحماسية وابتعاده عن التأليف وكتابة التأصيلات المعمقة - حيث لم يوجد أي
مؤلف أو رسالة للمحيبي بخلاف المرجعيات التي استعرضناها - يدل على ضعف
التأصيل الشرعي لديه أو عدم الرغبة بالكشف عن منهجه لكن ذلك لم يمنعه أحياناً
من بث كلمات تعجب التيار الجهادي كمهاجمة الديمقراطية بالمطلق دون وضع
ضوابط لحكمها وكذلك مهاجمة الائتلاف الوطني في بعض الأحيان.

* على الرغم من التقاطع المنهجي الكبير بين المحيبي وإيديولوجيا تحرير
الشام، إلا أن المحيبي كان من الرافضين بشدة للاقتتالات الداخلية، والساعين في
الإصلاح بين الفصائل، وعزا سبب استقالته منها لسياساتها في استئصال الفصائل،

(١) المقطع مؤرشف لدى الباحث، ولا يوجد رابط له على الشبكة نتيجة حذفه لانتهاكه سياسات
النشر.

ومع ذلك فهناك اتهامات عديدة للمحيسني بميله رغم ذلك لتحرير الشام الذي
لا زال ينشط بقوة في مناطق سيطرتها.

* كذلك لا يعرف للمحيسني أي موقف ضد تركيا بل له الكثير من الفيديوهات
والمناشير التي تؤيد السياسة التركية.

الفصل الثالث

قراءة في صراع الأجنحة الشرعية داخل هيئة تحرير الشام وديناميات التحول وإعادة التشكل

المبحث الأول: صراع الأجنحة وسياقات تشكل المرجعية الشرعية

المبحث الثاني: النتائج والتوصيات والخاتمة

ملحق تقييم دراسة الباحثان «جرون دريفون وباتريك هاني» كيف

أضحى الجهاد العالمي محلياً

إن النهاية التي وصلت لها تحرير الشام وتحولها من فرع لتنظيم القاعدة إلى تنظيم محلي ومن إيديولوجيا السلفية إلى الانفتاح على المدارس المحلية ومن الجهادية إلى الثورة ومن استراتيجية القتال إلى الإدارة والحكم ومن القطيعة الدولية إلى فتح العلاقات الخارجية من المنظمات والجهات البحثية والعلاقة مع الدول كان نتيجة طبيعية لمكانيزما من الجدل الشرعي الداخلي والخارجي حول العديد من القضايا السياسية التي أثرت على صناعة القرار داخل قيادة تحرير الشام وهنا يأتي السؤال البديهي كيف كان يصنع القرار داخل تحرير الشام هل كان ينبثق من الرؤية الشرعية ابتداء أم ينبثق من مصلحة القيادة في الأساس ثم يأتي دور الرأي الشرعي للتبرير والمساندة وكيف كان يهندس الجسم الشرعي لتحقيق هذه العملية في هذا المبحث لنلقي الضوء على صراع الأجنحة الشرعية وتحالفاتها والظروف السياسية والاستحقاقات الشرعية التي كانت تفرضها حتى ولت بنا للمشهد الحالي الذي نراه في تحرير الشام.

المبحث الأول

صراع الأجنحة وسياقات تشكل المرجعية الشرعية

مرت العلاقة بين الجناح الشرعي وقيادة تحرير الشام بأربع مراحل من الصراعات وتصفية الأجنحة والتحالف أحياناً وهي:

أ- المرحلة الأولى: إدارة الصراع مع داعش

والتي امتدت منذ نهاية عام ٢٠١٣ وذلك بعد انشقاق جبهة النصرة عن تنظيم داعش وما بعدها وحينما كان ميسر الجبوري المعروف بأبي ماري القحطاني يشغل منصب الشرعي العام لجبهة النصرة في وقتها كانت سطوة الشرعي على القيادة واضحة وقوة مركزها في إدارة التنظيم لكن لم يكن تنظيم النصرة يتمتع بتلك المركزية الشديدة بسبب تباعد القطعات وانقطاعها عن بعضها وفي هذه المرحلة كان جبهة النصرة بحاجة إلى خطاب تحشيدي ضد تنظيم داعش باعتبارهم خوارج قد أعلنوا تكفيرها وكانت بحاجة على خطاب تصالحي مع الجيش الحر لنسج تحالفات معه ضد داعش خصوصاً في المنطقة الشرقية من سورية الغنية بالنفط والغاز التي كانت تمثل خزان الموارد المالية لجبهة النصرة وحيث كان الصراع مع داعش على أشده للاستحوذ على الموارد النفطية وهو ما كان يحسنه مظهر الويس والقحطاني الذي سطر الكتب والدراسات في الرد على الدواعش والدفاع عن موقف النصرة في التحالف مع الجيش الحر كما في كتابه «العلامات الفارقة» وكتابه «تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر» حيث كان هناك تيار داخل جبهة النصرة يرى عدم شرعية قتال تنظيم داعش بالتحالف مع الجيش الحر الذي يرتب منطيات ردة وكان يرى أن الجيش الحر هم مشروع صحوات.

تميزت هذه المرحلة بعدة سمات أهمها:

١ - غياب القيادة المركزية للرأي الشرعي في التنظيم حيث كان فرع القلمون بقيادة ملك التلي يتحالف مع داعش بينما كان فرع الشرقية في دير الزور يخوض معها معارك ضارية وكانت القيادة المركزية في إدلب تقف موقف المتفرج وتنتظر النتائج هناك لتحسم موقفها.

٢ - كان التحول نحو بيعة تنظيم القاعدة يحوي في مضمونه تحولاً تكتيكياً لمنع الجنود المؤدلجين من الالتحاق بتنظيم داعش عند تيار القحطاني وكان بالنسبة للتيار الموالي للمقدسي والعريدي والتيار الأردني هو خيار استراتيجي وبدأ الشد والجذب بينهما.

٣ - كانت مواقف القيادة من الجهاز الشرعي موقفاً برغماتياً فقد سكتت عنها عندما كانت ترسل الأموال من غنائم النفط ثم كفرت القيادة جهازها الشرعي عندما تحالفت مع الجيش الحر لقتال داعش ورفضت القيادة إرسال المؤازرات لإنقاذ فرع الشرقية في دير الزور عندما أشرف على الانهيار.

٤ - مشاركة الفصائل الإسلامية في المحاكم الشرعية خصوصاً في إدلب وحلب.

ب - المرحلة الثانية: صعود التيار الأردني وزيادة الارتباط بالقاعدة

وهي المرحلة التي بدأت بعد سقوط المنطقة الشرقية من سورية بيد داعش نهاية ٢٠١٤ وخسارة الشرعي العام أبو ماري القحطاني للمناطق النفطية الغنية وتصاعد الخطاب المتطرف من الشيخ أبي محمد المقدسي ضد ما سمي تيار القحطاني ولويس المتراخي في موقفه من الجيش الحر ومعارضة هذا التيار لقتال

تنظيم داعش إلا في حدود الدفاع عن النفس واعتبار أن قتالها في هذه المرحلة ما هو إلا استجابة لإملاءات غربية كافرة هنا أقدم الجولاني على عزل القحطاني الذي خسر مقومات تأثيره المالية وانتقل القحطاني على إثرها إلى درعا وبدأ بمهاجمة الجولاني والمقدسي والعريدي بكتابته على التويتر ودخلت العلاقة بينهما بقطيعة تامة، وتم تعيين سامي العريدي المقرب من المقدسي بمنصب الشرعي العام لجبهة النصره بعد أن تصاعد تياره داخل التنظيم وكان العريدي متواجداً في درعا هو الآخر وهنا دخلت العلاقة بين القيادة والجهاز الشرعي في حالة من التوازن في النفوذ على التنظيم، لكن كان لبعث سامي العريدي في درعا عن القيادة في الشمال مركز الثقل الأكبر لقوة جبهة النصره دوراً في إعطاء الجولاني مساحة للتحرك ليعيد ترتيب الجهاز الشرعي في الجبهة بطريقة تضمن له السيطرة المطلقة، بعد أن استثمر طويلاً برمزية المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني لتحشيد عناصر تنظيمه في قتال فصائل الجيش الحر وإصدار الفتاوى بذلك.

اتسمت هذه المرحلة بـ:

- ١ - تصارع اللوبيات داخل التنظيم خصوصاً بين لوبيي القحطاني ومعه مظهر الويس الذي يطلق عليه (التيار القطري) وبين لوبيي العريدي ومعه التيار الأردني عموماً (التيار العالمي)
- ٢ - ازداد قرب جبهة النصره من تنظيم القاعدة وزيادة نفوذ القيادات الموالية للقاعدة داخل التنظيم من التيار الأردني.
- ٣ - تحول اتجاه جبهة النصره من قتال داعش إلى تصفية فصائل الجيش الحر وبدأتها بجبهة ثوار سورية وحركة حزم.

٤ - زيادة التحالف بين تحرير الشام وفصيل جند الأقصى الذي كان يحتفظ بعلاقة جيدة مع تنظيم داعش.

٥ - تبني خطاب معاد لتركيا والجيش الحر عموماً والعملية السياسية في جنيف

٦ - استقلال جبهة النصرة بقضاء مستقل عن الفصائل وتأسيس دور القضاء.

٧ - اتجاه تيار القحطاني لإبراز مرجعيات للقاعدة مختلفة عن المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني ومحاولة إبراز عطية الله الليبي والشيخ الحدوشي

٨ - دخول القحطاني ولويس ضمن مجاميع علمائية موازية للضغط على تنظيم جبهة النصرة من خارجها مثل «مجلس شورى أهل العلم في الشام»^(١) الذي جمع العديد من المشايخ السوريين وغير السوريين لتكوين مرجعية منافسة قادرة على إزاحة المرجعية الأردنية من دائرة التأثير والدخول في مركز عزام للدراسات^(٢) الذي كان ينهض الغلو والتطرف ويواجه فكر المقدسي^(٣) وكتب في ذلك العديد من الكتب والدراسات أصدر مجلة اسمها مجلة الشريعة التي كانت تتناول أبحاث علمية وفكرية ضد الغلو والتطرف^(٤).

(١) رابط صفحة معرف المجلس على التويتر:

<https://twitter.com/shuraalsham>

(٢) صفحة مركز عزام على تويتر:

https://twitter.com/Azzam_Center

(٣) أحد الرود العلمية التي أخرجها مركز عزام للرد على تكفير المقدسي للجيش الحر الي يقاتل داعش بالتعاون مع التحالف الدولي:

https://top4top.io/downloadf20517_y0y01_pdf.html

(٤) العدد الأول من المجلة:

<https://www.zamanalwsl.net/news/article/63627/>

ج - المرحلة الثالثة: فك الارتباط بتنظيم القاعدة وظهور الجولاني للعلن

والتي بدأت منذ منتصف ٢٠١٥ وهنا جاء القرار من قيادة تحرير الشام بعزل سامي العريدي وإبعاد القحطاني كذلك عن الواجهة بعد مجيئهم من درعا إلى الشمال بحجة القضاء على اللوبيات الشرعية المتصارعة داخل الجماعة وهي بشكل أساسي بين لوبي القحطاني ولوبي العريدي، ليرتفع نجم عبد الرحيم عطون الذي مثل الحالة المثالية لتبعية الجهاز الشرعي للقيادة، وهنا يمكن القول أن الشرعي العام للتنظيم أصبح تحت سيطرة الجولاني بالمطلق ومهمته هي تديب الفتاوى الشرعية لتبرير كل ما يفعله وهنا كانت النصررة بحاجة إلى إحداث تحولات مهمة بعد رؤيتها للمصير الذي انتهت إليه داعش والعمل على فك الارتباط مع القاعدة وتصفية الفصائل التي تشكل خطراً عليها والاتجاه لإنتاج مشروع محلي مع الفصائل التي تقبل المشاركة معها، وفعلاً بدأ المشروع الأول بتشكيل جيش الفتح بداية عام ٢٠١٦ والذي الذي فشل بتحرير مدينة حلب ومني بهزيمة كبيرة فيها حينها بدأ الحديث عن ضرورة الانتقال إلى مشروع توحيد الفصائل لكن ارتباط النصررة بالقاعدة كان هو العائق الأكبر أمام قبول الفصائل بهذا المشروع وبقي تيار القحطاني يضغط على الجولاني من خلال تشكيل جسم شرعي جديد سمي تجمع أهل العلم في الشام في منتصف ٢٠١٦^(١) والذي ضم ١٢ شرعي من مختلف الفصائل إضافة للمستقلين ومشايخ من أحرار الشام لمنازعة شرعي النصررة الرأي الديني في نوازل الساحة وهو ما دفع جبهة النصررة لكتابة رسالة

(١) إعلان التشكيل على موقع الدرر الشامية:

احتجاج سرية لأعضاء التجمع بسبب تجاوزها في تشكيل المجلس^(١).

١ - اتسمت هذه المرحلة باستكمال تصفية الفصائل المعيقة لمشروع الجولاني وتم القضاء في هذه المرحلة على جيش المجاهدين.

٢ - قيام جبهة النصرة بنسج تحالفات مع الفصائل الإسلامية داخل غرفة عمليات جيش الفتح.

٣ - دخول تيار القحطاني بتفاهم مع الجولاني والعودة إلى التحالف من جديد والمعل على فرط تجمع أهل العلم في الشام.

٤ - فك الجولاني في ٢٨ تموز / يوليو ٢٠١٦ ارتباط النصرة بالقاعدة وأعلن عن تأسيس ما يسمى بتنظيم فتح الشام^(٢) والتحول العالمية إلى المحلية.

٥ - بدأ تيار العريدي والمقدسي والظواهري بشن هجوم لاذع على الجولاني بعد نقضه لبيعة القاعدة، وبدأ العناصر والقادة الموالين للتنظيم بالتفكير بالانشقاق.

د - المرحلة الرابعة: تأسيس تحرير الشام والتحول من الفصيل إلى السلطة بدأت هذه المرحلة بعد إعلان تشكيل هيئة تحرير الشام في ٢٨ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧ من خلال اندماج كل من جبهة فتح الشام وجبهة أنصار الدين ثم جيش السنة وجيش الأحرار ولواء الحق وكذا حركة نور الدين الزنكي تحت قيادة جابر الشيخ.

(١) تم رفع الرسالة هنا من قبل الباحث وهي وثيقة خاصة لم تنشر من قبل:

https://top4top.io/downloadf_20517_fgyi1_pdf.html

(٢) بيان تأسيس فتح الشام وفك الارتباط عن تنظيم القاعدة:

<https://2u.pw/5pMTPak>

وتم تشكيل المجلس الشرعي للهيئة من:

- ١ - أبو يوسف الحموي رئيساً للمجلس. ٢ - عبد الله المحيسني. ٣ - عبد الرزاق المهدي. ٤ - عمر رمضان. ٥ - أبو الحارث المصري. ٦ - عبد الرحيم عطون. ٧ - أبو ماري القحطاني. ٨ - مظهر الويس.

وكان قد خرج من المجلس بداية تشكله كل من: ١ - عبد الرزاق المهدي ٢ - محمد أبو الصادق (نضال حسن) بسبب إعطائهم دوراً هامشياً في المجلس. ثم انشق عمر رمضان ممثل الزنكي بعد انشقاق فضيله. ثم انشق المحيسني بعد قرار الجولاني بقتال أحرار الشام. اتسمت هذه المرحلة:

- ١ - تحالف تيار القحطاني مع تيار عطون ضد التيار الأردني.
- ٢ - تعاضم دور التيار المصري بعد انشقاق مجموعة من الشرعيين المصريين عن أحرار الشام وانضمامهم إلى الهيئة مثل (أبو اليقظان وأبو الفتح الفرغلي وأبو شعيب أبي الحارث المصري).
- ٣ - تشكيل التيار الأردني لجبهة حراس الدين وإعادة إحياء فرع القاعدة في سورية.
- ٤ - دخول الهيئة بصراع مع حركة نور الدين الزنكي وإصدار فتوى بتكفيرها من أبي الحارث المصري.
- ٥ - تشكيل تحرير الشام لحكومة الإنقاذ وفرض سيطرتها على كامل المحرر وإزاحة كل الفصائل من وجهها.

- ٦ - انشقاق عبد الله المحيسني ومصالح العلياني وكامل التيار السعودي بعد عودة الجولاني للاقتتال الفصائلي.
- ٧ - الإنسحاب بدون قتال مما أدى لتسليم العديد من المناطق للنظام في مناطق شرق سكة الحديد من محافظة إدلب.
- ٨ - انشقاق أغلب المجاميع العسكرية التي انضمت لها كجيش الأحرار وأنصار الدين وحركة نور الدين زنكي.
- ٩ - الدخول في تفاهمات مع الدول وإدخال الجيش التركي وانشقاق أغلب التيار المصري عن الهيئة.
- ١٠ - محاولة التصالح مع المدرسة التقليدية وتعيين أنس عيروط مفتياً لإدلب وتقرير كتاب العقيدة لعبد الرحمن حبنكة الأشعري في منهاج كلية الشريعة.
- ١١ - إيقاف عمل الحسبة في كامل إدلب.
- ١٢ - محاولة التواصل مع الدول وإعطاء خطاب معتدل في محاولة من الهيئة لتحسين صورتها أمام الغرب.
- ١٣ - دخول الهيئة في سلسلة صراعات مع الفصائل الجهادية التي ساعدتها في قتال الفصائل مثل تنسيقية الجهاد وجماعة التحلي وحراس الدين وجند الأقصى وجنود الشام وإنهاء وجودهم تماماً.
- ١٤ - طرحت حكومة الإنقاذ التابعة للهيئة مشروعاً لتقنين الشريعة وتحويلها لمواد قانونية^(١).

(١) موقع تلفزيون سورية:

١٥ - التواصل مع المجلس الإسلامي السوري ومحاولة إبرام صفقة مصالحة معه، ولم يرد المجلس الإسلامي على المبادرة حتى الآن.

١٦ - التخلي نهائياً عن الخطاب الجهادي ومحاولة الالتصاق بالخطاب الثوري.

المبحث الثاني أهم النتائج

١ - كان لجبهة النصرة بتحولاتها المختلفة، نوعان رئيسان من المرجعية الشرعية، الأولى هي المرجعية العابرة المتمثلة بمرجعيات تنظيم القاعدة و«جماعات الغلو والعنف المسلحة» خارج سوريا، والثانية، هي المرجعيات الشرعية المحلية، حيث تأسست جبهة النصرة كفرع لدولة العراق التابعة لتنظيم القاعدة ابتداءً، وبذلك فإن الطبقة القيادية الأولى كانت حاملة لفكر تنظيم القاعدة، ومتأثرة بمرجعياته المعروفة منذ تشكلها، وتبني التنظيم في بداياته تدريس كتب مرجعيات بارزة في تنظيم القاعدة مثل «العمدة في إعداد العدة» لسيد إمام الشريف، و«ملة إبراهيم» لعاصم البرقاوي المعروف بأبي محمد المقدسي، وغيرها من مرجعيات تنظيم القاعدة.

٢ - إلا أنه مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجلات مع منظري الفكر التكفيري وقيادات تنظيم القاعدة، وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي، الذي استقال من هيئة تحرير الشام، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضا، وعبد الله المحيبي سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم.

٣- من جهة أخرى، وبعيدا عن «الشخصيات» التي تشكل المرجعية الشرعية لتحرير الشام وتحولاتها السابقة، فقد شكل «المجلس الشرعي لتحرير الشام» ككل، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعياً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة، وكذلك شرعنة السياسات التي تنتهجها تحرير الشام.

٤- ويُعرف «المجلس الشرعي لتحرير الشام» باسم «اللجنة الشرعية»، ويعد عبد الرحيم عطون رئيس المجلس/ اللجنة، التي تضم أيضاً، مظهر الويس، ومصطفى حمدان المعروف بأبي الحارث الزبداني، وكذلك ميسر علي موسى عبد الله الجبوري المعروف بأبي ماري القحطاني، ولعب المجلس الشرعي أو اللجنة الشرعية دورا كبيرا في رسم سياسات التنظيم قبل الإعلان عن تشكيل تحرير الشام وفي الأشهر الأولى من تشكيلها، حيث كانت تستشار في معظم سياسات التنظيم سواء الخارجية أو الداخلية المتعلقة بتعاملها مع الفصائل الأخرى، إلا أن دور المجلس/ اللجنة قد تراجع بشكل واضح مع تشكيل حكومة الإنقاذ المرتبطة بتحرير الشام في بداية تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ٢٠١٧ وسط سعي تحرير الشام للتحويل من بنية التنظيم/ الجماعة، إلى بناء المؤسسات الحكومية التي تتمتع بقدر من الاستقلالية- ولو الشكلية- عن تحرير الشام، ولا تحتاج بالضرورة الرجوع للمجلس/ اللجنة الشرعية في جميع سياساتها.

٥- في حين مثل المجلس الأعلى للإفتاء أبرز محاولات تحرير الشام لإظهار استقلالية حكومة الإنقاذ والمؤسسات المدنية في المنطقة عنها، والذي أعلن عنه في شهر نيسان/ إبريل من العام ٢٠١٩.

٦ - وكان من الملاحظ خلال عرض أسماء أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء وجود ٣ أعضاء مُشترَكينَ بين المجلس الشرعي لتحرير الشام، والمجلس الأعلى للإفتاء وهم عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، ومصطفى حمدان، إضافة لكون الشخصيات الأخرى مقربة من تحرير الشام، وهو ما ينفي مزاعم استقلالية المجلس، ويؤكد كونه إحدى الواجهات الشرعية لتحرير الشام، كما بدا واضحا أن عمل المجلس متركز على إصدار الفتاوى الفقهية، المتعلقة بالأمور الحياتية، ومسائل المعاملات وغيرها، ولا شأن له بالفتاوى السياسية، المتعلقة بسياسات تحرير الشام، والتي تعد من اختصاص المجلس / اللجنة الشرعية لتحرير الشام.

٧ - وعلى اعتبار عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، وعضوا في المجلس الأعلى للإفتاء، فقد تطرق البحث لأبرز مواقفه ولملاحح هويته الفكرية، التي تمثلت بالغلو في التكفير غير المنضبط للأعيان والجماعات، واستهائته بـ «الدماء المعصومة»، والذي بدا واضحا من خلال دعواته لقتال الفصائل الأخرى، سواء جبهة ثوار سوريا وحركة أحرار الشام وحركة نور الدين زنكي وغيرها من الفصائل، والتي خلفت مئات القتلى، ولعبت كلماته وفتاواه دورا كبيرا فيها تحريضا وتبريرا، وفق ذرائع مختلفة، إضافة لبراغماتيته، والتي ظهرت واضحة خلال التقلبات التي مر بها عطون، من الانقلاب على تنظيم الدولة ثم تنظيم القاعدة، ثم الانقلاب على نفسه وطروحاته القديمة، المتعلقة بالممارسات السياسية والعلاقات الدولية للفصائل، كما تطرق البحث لدور مظهر الويس الذي يعد عضوا في كلا المجلسين (المجلس الشرعي لتحرير الشام والمجلس الأعلى للإفتاء)، واستعرض أبرز مواقفه وملاححه منهجه وهويته الفكرية، مشيرا إلى أنه

من الممكن اعتبار أن مظهر الويس أكثر انضباطا في مسائل التكفير من المرجعيات الشرعية الأخرى لتحرير الشام، حيث بدا ذلك واضحا في كتابه «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» وكذلك في رسالته التي حملت عنوان «تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)» والتي نشرت في العام ٢٠١٤^(١)، ليستعرض البحث في نهايته أبرز المرجعيات الشرعية المستقلة/ المنشقة عن تحرير الشام والتي كانت جزءا من لجنتها الشرعية حين الإعلان عن تشكيلها عام ٢٠١٧، ويقع الاختيار على عبد الرزاق المهدي، وعبد الله المحسيني، واللذان بقيا مقربين من تحرير الشام على الرغم من إعلان استقالتهما/ انشاقهم عنها.

٨- وبالمجمل؛ فقد لعب الجناح الشرعي لتحرير الشام دورا كبيرا في شرعة سياسات التنظيم، سواء على المستوى الداخلي المتمثل بالهجوم على الفصائل الأخرى، بذرائع وحجج مختلفة، أو على المستوى الخارجي، المتمثل بالتنسيق مع بعض الدول مثل تركيا، وقبلها فك الارتباط بتنظيم القاعدة، وكان للمجلس الشرعي/ اللجنة الشرعية الدور الأكبر في ذلك عبر البيانات التي يتم إصدارها، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة للدور الكبير الذي لعبه عبد الرحيم عطون رئيس المجلس في استصدار تلك البيانات، ومواقفه التي تعد الأكثر تشددا تجاه الفصائل الأخرى، والأكثر براغماتية في الوقت ذاته على صعيد العلاقات الخارجية، كما بدا ذلك من خلال ردوده على الظواهري، وتصريحاته خلال مقابلاته مع بعض

(١) تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)، موقع نور سوريا، على الرابط:

<https://syrianoor.net/article/925>

الصحف الأجنبية حيث يبدو أن عطون هو من أبرز الشخصيات التي تتولى شرعة التحرك السياسي والعسكري لتحرير الشام، في حين تراجع دور المجلس بشكل كبير عقب تشكيل حكومة الإنقاذ نهاية العام ٢٠١٧، ل يتم تشكيل «المجلس الأعلى للإفتاء» الذي اقتصر دوره على إصدار الفتاوى الفقهية في الشؤون الحياتية والمعاملات بعيدا عن الشأن السياسي، وفي الوقت ذاته حافظ الجناح الشرعي لتحرير الشام على علاقات طيبة مع بعض مرجعيات تنظيم القاعدة، مثل أبي قتادة الفلسطيني، في حين شن انتقادات لاذعة تجاه شخصيات أخرى مثل أبي محمد المقدسي، كما استطاع احتواء الأعضاء المنشقين/المستقلين، ودعوتهم لبعض الاجتماعات، وترك مساحة لهم في الشمال الغربي لسوريا في مجال الدعوة والخطابة، والتي انتقدت بدورها سياسات تحرير الشام وعلى وجه الخصوص هجومها على الفصائل الأخرى، مثل المهدي والمحييني، التي تشكل شخصيات أقل تعصبا لتحرير الشام، إلا أنها تشترك معها في مساحات فكرية واسعة في كثير من القضايا والأمور، ما قد يتيح لعبها دورا تقريبا أو حواريا في قضايا محددة مثل التكفير والبغي، مع صعوبة فتح حوارات في قضايا أخرى قد يكون هذا التيار فيها أكثر تشددا من التيار المنضوي حتى اللحظة في تحرير الشام، مع الإشارة إلى أن كلا التيارين لا يملكان سلطة تؤهلهما لتغيير المسارات العامة لتحرير الشام والتي يستبد برسمها الجولاني باعتباره «القائد الشيخ»، ولا على المفاوضات السياسية التي يجريها التنظيم، ولا يمكن أن يشكلا - بحال من الأحوال - مدخلا لمحاولات التفاوض والحوار إن لم يكن ذلك بتوجيه من متزعم التنظيم أبي محمد الجولاني، إذ يمكن اعتبارهما متأثرين فيه أكثر من كونهم متأثرين عليه، ويقتصر دورهما - في المجمل - على الاستجابة للسياسات التي يرسمها وشرعتها وتبريرها، فضلا عن

الخلافات الداخلية التي تعتري المرجعية الشرعية في تحرير الشام والتي تضعف بدورها من قدرة الجناح الشرعي على التأثير في القضايا المفصلية التي تواجه التنظيم.

٩ - كما يجب التنبه لقضية مهمة وهي أن كل الخلافات التي وقعت بين المرجعيات الشرعية لتحرير الشام من كافة الاتجاهات والتيارات وكل المناظرات والردود كانت ضمن إطار السلفية الجهادية ولم تخرج أي من هذه المرجعيات عن الطريقة السلفية الجهادية في صياغة فكر جديد، فلم نلاحظ انتقال أي من هذه المرجعيات إلى السلفية العلمية أو المدرسة المقاصدية أو المدرسة التقليدية الفقهية.

١٠ - كما أن حالة الانشاقات التي شهدتها الجهاز الشرعي لتحرير الشام لم تكن كلها في اتجاه واحد فبعض هذه المرجعيات انشقت مندفعاً نحو المزيد من الغلو والتطرف أمثال (سامي العريدي الذي تحول للمسؤول الشرعي عن حراس الدين، وأبو اليقظان المصري، وأبو شعيب المصري وبعضها رفضاً لسياسة تحرير الشام في التطرف والقتال مع الفصائل وبعد فشله في التأثير على سياسة تحرير الشام مثل (عبد الرزاق المهدي، وعبد الله المحيسي، وعلي العرجاني ومصالح العلياني) والمرجعيات المتبقية ضمن تحرير الشام حالياً هي المرجعيات القابلة للتحويل واتخاذ المواقف الأكثر برغماتية أمثال (عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، وأبو ماري القحطاني وأبو الحارث المصري، وأبو الفتح الفرغلي).

١١ - إن العلاقة بين قيادة تحرير الشام وجهازه الشرعي لا يمكن أن نخترلها بمجرد الحاجة المتبادلة بين الطرفين، حيث تحتاج القيادة للغطاء الشرعي لقراراتها ويحتاج الجهاز الشرعي إلى قوة عسكرية يستعين بها لنشر أفكاره وتطبيقها، بل إنها علاقة معقدة جداً وقد تتحول إلى صراع ناعم بين الطرفين ولعب كل فريق

على اختلاف الأجنحة في الطرف الآخر ومحاولة تأمين المصالح المادية الخاصة والحفاظ على الموقع السلطوي بناء على هذه التحالفات وهو أحد أهم محددات هذه العلاقة.

١٢ - كان للنقاشات والحوارات التي جرت بين المسؤولين الشرعيين داخل تحرير الشام وبين المسؤولين الشرعيين لتحرير الشام وعدد من الشرعيين السوريين دوراً مهماً في إحداث قفزة وتطور مهم في فكر تحرير الشام أدى بها في النهاية لترك الجهاد العالمي ومحاربة التنظيمات الأكثر تطرفاً وبناء نموذج للحكم وقبول الشراكة مع الفصائل غير الجهادية وفتح العلاقات مع الدول المجاورة والتواصل مع المنظمات الغربية والظهور على وسائل الإعلام الغربية.

الخلاصة

مثلت التجربة الجهادية في سورية الحالة المثلى لتفكيك فكر الجماعات الجهادية وصراعها مع بعضها البعض وتوجيه ضربة إيديولوجية قوية لتنظيمي القاعدة وداعش إلى درجة إعلان الجولاني في لقاءه مع مجموعة الأزمات أن الفقه الإسلامي وفق المذاهب الأربعة المعتمدة هو مرجعية تحرير الشام ولا مرجعية لها غيره^(١) وهو ما يثبت تراجع أوراق السلفية الجهادية تماماً في سورية والفكر السلفي بشكل عام الذي بدأ بالانزواء.

وهذا ما قد دفع تحرير الشام لفتح قنوات تواصل مع المجلس الإسلامي السوري الذي يمثل المرجعية التقليدية لأهل سورية، محاولاً كسب المشروعية والشرعية من هذا المجلس الذي يمتلك التأثير الأكبر اليوم في المشهد الديني السوري، وهذا ما يعني ان تحرير الشام حالياً في طريقها لخلع السلفية الجهادية نهائياً في حال اتجهت الحالة السياسية إلى الاستقرار، وذلك لأن السلفية الجهادية كفكر ومنظومة فكرية لا يمكن أن تعمل إلا في حالة الاحتراب ولا يمكنها أن تؤسس لمرحلة استقرار كما هو الحال في المدرسة التقليدية التي تعبر فعلياً عن المجتمع السوري والقادرة على إدارة صفقة مع السلطة تأخذ من خلالها السلطة الثقافية على المجتمع مقابل تنازلها عن السلطة السياسية المباشرة.

وبالعودة إلى عنوان الدراسة الذي انطلقنا منه للبحث في الدور والتحويلات

(١) موقع إباء التابع لتحرير الشام:

<https://ebaa.news/news/news-details/2020/02/65491/>

والبنية فإننا نخلص إلى أن دور الجناح الشرعي لم يعد يسهم بصناعة القرار والتأثير على القيادة ويلعب دوراً مركزياً وتحول إلى دور ثانوي ورافعة مؤيدة وداعمة للقرار السياسي وموجه للجنود لإقناعه بقرارات القيادة.

أما في التحولات فقد تحول من إيديولوجيا السلفية الجهادية إلى هوية فكرية هجينة تتلاقى تارة مع السلفية وتارة مع الجهادية وتارة مع المدرسة التقليدية أو الإخوانية.

أما في البنية فقد تحولت البنية من النموذج الشبكي الشبكية اللامركزية إلى النموذج الفردي إلى النموذج الهيكلي والبنية الهرمية المركزية المنظمة التابعة للقيادة مباشرة.

مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجلات مع منطري وقيادات تنظيم القاعدة، وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي، الذي استقال من هيئة تحرير الشام، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضاً، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم، من جهة أخرى، وبعيدا عن «المرجعيات الفردية» التي تشكل المرجعية الشرعية لتحرير الشام وتحولاتها السابقة، فقد شكل «المجلس الشرعي

لتحرير الشام» ككل، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعياً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة، وكذلك شرعة السياسات التي تنتهجها تحرير الشام.

وبالمجمل؛ فقد لعب الجناح الشرعي لتحرير الشام دوراً كبيراً في شرعة سياسات التنظيم، سواء على المستوى الداخلي المتمثل بالهجوم على الفصائل الأخرى، بذرائع وحجج مختلفة، أو على المستوى الخارجي، المتمثل بالتنسيق مع بعض الدول مثل تركيا، وقبلها فك الارتباط بتنظيم القاعدة، وكان للمجلس الشرعي / اللجنة الشرعية الدور الأكبر في ذلك عبر البيانات التي يتم إصدارها، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة للدور الكبير الذي لعبه عبد الرحيم عطون رئيس المجلس في استصدار تلك البيانات، ومواقفه التي تعد الأكثر تشدداً تجاه الفصائل الأخرى، والأكثر براغماتية في الوقت ذاته على صعيد العلاقات الخارجية، كما بدا ذلك من خلال ردوده على الظواهري، وتصريحاته خلال مقابلاته مع بعض الصحف الأجنبية حيث يبدو أن عطون هو من أبرز الشخصيات التي تتولى شرعة التحرك السياسي والعسكري لتحرير الشام، في حين تراجع دور المجلس بشكل كبير عقب تشكيل حكومة الإنقاذ نهاية العام ٢٠١٧، ليتم تشكيل «المجلس الأعلى للإفتاء» الذي اقتصر دوره على إصدار الفتاوى الفقهية، وفي الوقت ذاته حافظ الجناح الشرعي لتحرير الشام على علاقات طيبة مع بعض مرجعيات تنظيم القاعدة، مثل أبي قتادة الفلسطيني، في حين شن انتقادات لاذعة تجاه شخصيات أخرى مثل أبي محمد المقدسي، كما استطاع احتواء الأعضاء المنشقين / المستقلين، ودعوتهم لبعض الاجتماعات، وترك مساحة لهم في الشمال الغربي

لسوريا في مجال الدعوة والخطابة، والذين انتقدوا بدورهم سياسات تحرير الشام وعلى وجه الخصوص هجومها على الفصائل الأخرى، مثل المهدي والمحييني، التي تشكل شخصيات أقل تعصبا لتحرير الشام، إلا أنها تشترك معها في مساحات فكرية واسعة في كثير من القضايا والأمور، ما قد يتيح لعبها دورا تقريبا أو حواريا في قضايا محددة مثل الحد من التكفير والبغي، مع صعوبة فتح حوارات في قضايا أخرى قد يكون هذا التيار فيها أكثر تشددا من التيار المنضوي حتى اللحظة في تحرير الشام، مع الإشارة إلى أن كلا التيارين لا يملكان سلطة تؤهلها لتغيير المسارات العامة لتحرير الشام والتي يستبد برسمها الجولاني باعتباره «القائد الشيخ»، ولا على المفاوضات السياسية التي يجريها التنظيم، ولا يمكن أن يشكلا - بحال من الأحوال - مدخلا لمحاولات التفاوض والحوار إن لم يكن ذلك بتوجيه من متزعم التنظيم أبي محمد الجولاني، إذ يمكن اعتبارهما متأثرين فيه أكثر من كونهم متأثرين عليه، ويقتصر دورهما - في المجمل - على الاستجابة للسياسات التي يرسمها وشرعتها وتبريرها، فضلا عن الخلافات الداخلية التي تعترى المرجعية الشرعية في تحرير الشام والتي تضعف بدورها من قدرة الجناح الشرعي على التأثير في القضايا المفصلية التي تواجه التنظيم.

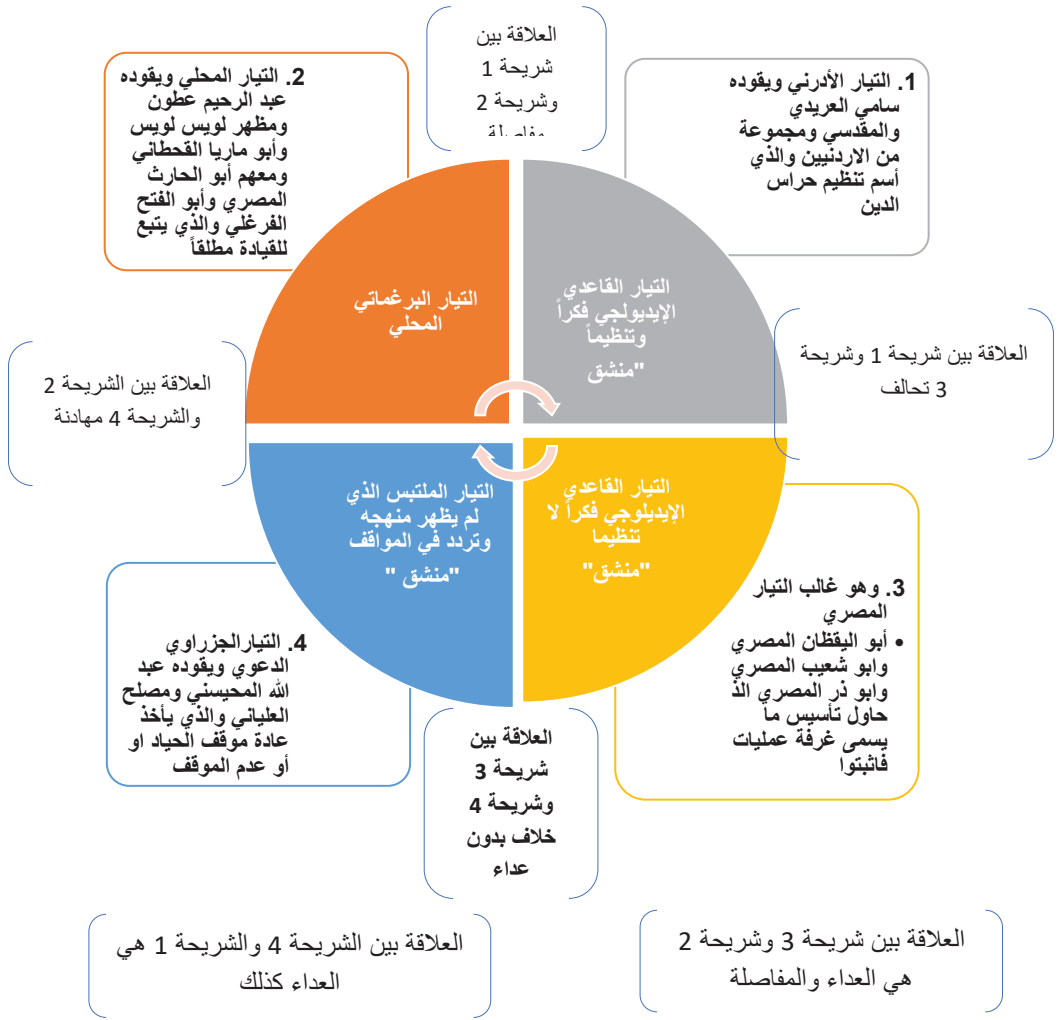
هيكلية المرجعية الشرعية لتحرير الشام وأعضائها

الشرعيين الذين تناوبوا على المركز الشرعي العام في تحرير الشام في كل تحولاتها

السابقة من جبهة النصرة حتى اليوم



الاتجاهات الشرعية في تحرير الشام عبر تحولاتها السابقة



وهناك حالات فردية انشقت مبكراً عن جبهة النصره لأسباب فكرية وهم (الشيخ علي العرجاني الكويتي والشيخ شريف هزاع المصري) اللذين انشقا عن القاعدة فكرياً وتنظيماً في وقت مبكر.

